بدء الخلق دراسة مقارنة
بين
سفر التكوين والقرآن الكريم

تأليف
الدكتورة / وداد يوسف كمال حسين
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

مقدمة

فى الواقع لقد لفت نظرى مدى تحامل كثير من المؤلفين الأوربيين [1] على القرآن الكريم، وذلك بالإدعاء بأن رواية القرآن اشتملت على ما يوافق بعض ما فى التوراة، من فقرات فضلاً عن ما بينهما من التشابه فى كثير من القصص كقصة " بدء الخلق "، حيث يقولون:

إن رواية القرآن عن الخلق قريبة إلى حد كبير من رواية التوراة المحرفة وينشرح هؤلاء المؤلفين لتقديم الروايتين بالتوازى، ولعل الهدف من وراء هذا القول، هو ثبوت سلامة العهد القديم من التحريف ما دامت الرواية على التوافق مع ما جاء فى القرآن الكريم.

والحقيقة إن هذا مفهوم خاطىء وافتراء على القرآن الكريم، فالاختلافات بين التوراة المحرفة والقرآن اختلافات جلية وواضحة، فالقرآن الكريم كتاب الله المحفوظ يختلف تماماً عن العهد القديم الذى هو من تأليف البشر، فشتان بين هذا وذاك.

من هنا أردت أن أقدم هذا البحث لاظهار الصورة الحقيقية للتوراة التى بأيدى اليهود، والقرآن الكريم الذى هو كتاب المسلمين، وذلك بالقيام بعمل مقارنة بينهما من خلال بيان عدة قضايا خاصة ببدء الخلق، كبدء خلق الأرض وكيفيتها، ثم كل ما يتعلق بها، ثم نتناول قضية خلق السموات وما يتصل بها، ثم بدء خلق آدم – عليه السلام – وهو يشتمل على عدة قضايا أيضاً، ثم الحديث عن خلق الملائكة ثم بعد ذلك خلق الجن.

ثم بعد عرض هذه القضايا من خلال التوراة أقوم بعد ذلك بعرضها من خلال القرآن الكريم ليتضح لنا حقائق الأمور.

ولقد اقتصرت على هذه القضايا خوفاً من الاطالة، فقصة الخلق بها الكثير من القضايا التى يمكن أن يتعرض لها بالبحث.

والله تعالى ولى التوفيق

---

(١) أمثال ـ د/ فاندر / صاحب كتاب ميزان الحق. ذلك الكتاب الذى وجد فيه الكثير من الشبهات الضارة والمشكلات الخطيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل فى التعريف بالكتاب المقدس وسفر التكوين

أ- التعريف بالكتاب المقدس:

إذا أطلق الكتاب المقدس لدي النصارى فيراد به (مجموع الأسفار الإلهية التي يتكون منها العهدان: القديم والجديد).

وأقدم نص يحدد الأجزاء التي يضمها العهد القديم يرجع إلي سنة ١٣. ق م. وهو نص حفيد يسوع سيراح فقد ذكر في مقدمة مجموعة الأمثال المنسوبة إلي جده أن العهد القديم يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية [١].

١- توراة أي الشريعة. ٢. نبيهم أي الأنبياء.

٢- كتوبيم أى الصحف أو الكتابات.

ونستطيع أن نذكر تفصيل هذه الأقسام في الأتي: -

أولاً: أسفار التوراة.

١- التكوين ٢. الخروج. ٣. اللاويين.

٤. العدد. ٥ . التثنية.

وتلك هي التي يطلق عليها أسفار موسي أو يطلق عليها التوراة كما ذكرنا.

ثانياً: أسفار الأنبياء وهي:

١- أسفار الأنبياء المتقدمين وتشمل الأسفار الآتية، يشوع (يوشع) ابن نون – القضاة – صموئيل الأول – صموئيل الثاني – الملوك الأول – الملوك الثاني.

٢- أسفار الأنبياء المتأخرين وتشمل الأسفار الآتية:- أشعيا – أرمياء – حزقيال

٣- كتاب الإثني عشر ويشمل:

ناحوم – يونان " يونس "– حبقوق – ميخا – هوشع – صفنيا – يوئيل –حجي – عاموس – زكريا – عوبديا – ملاخي.

ثالثاً: الكتابات: وهذا القسم يتشعب إلي أنواع ثلاثة:

١- الكتب العظيمة : وتشمل الأسفار الآتية: المزامير " الزبور " الأمثال " أمثال سليمان"- أيوب.

---

(١) التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه / ص ٣٥ وما بعدها / دار الجيل بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م

٢- المجلات الخمس: وتشمل الأسفار الآتية: نشيد الأناشيد راعوث المراثي (مراثي ارميا) – الجامعة – أستير.

٣- الكتب: ويشمل الأسفار الآتية:-

دانيال – عَزرا – نحميا – أخبار الأيام الأول – أخبار الأيام الثاني

وترد هذه الأقسام أيضاً في إنجيل لوقا (٢٤ – ٤٤) لكن بدلاً من ذكر الصحف أو الكتابات:تذكر " المزامير ".

ويمثل هذا الترتيب لأجزاء العهد القديم ترتيب يهود فلسطين كتبهم الألهية وهو ترتيب روعي فيه التسلسل التاريخي، كما يوجد تقسيمات أخرى لأسفار الكتاب المقدس أو العهد القديم ذكرها يهود الاسكندرية أو غيرهم يمكن مراجعتها فى الكتب التاريخية،والكتب الشعرية، والكتب النبوية.

ب- موقع سفر التكوين في الكتاب المقدس

سفر التكوين أو الخلق Genesis

سفر التكوين هو السفر الأول من أسفار موسي الخمسة، يسمي بالعبرية (براشيت) أي في البدء، نسبة إلي الكلمة الأولي التي يبتدأ بها، وفي اليونانية واللاتينية{ جنيزيز} أي خلق أو تكوين.

وبهذه التسمية يعرف في الترجمة العربية.

سمي هذا السفر بهذا الاسم لأنه يتحدث عن بدء العالم وعن خلق آدم وحواء، وأكلهما من الشجرة، وهبوطهما إلي الأرض بسبب معصيتهما – كما يتحدث أيضاً عن ابني آدم وقتل أحدهما للآخر، وعن نوح والطوفان، وعن أبناء نوح، ثم إبراهيم وتجواله ونسله إلي إسحق ويعقوب وأولاد يعقوب وبخاصة يوسف وحياته بمصر، وما جري له إلي أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعي إليه أباه وإخوته، وبموت يوسف ينتهي هذا السفر [١].

الفصل الأول

(١) اليهودية /د/ أحمد شلبي /جـ١ / ص ٢٤١ /ط مكتبة النهضة المصري /١٩٧٨م، نقد التوراة / د / احمد حجازي السقا /ص ٢٥ / وما بعدها / ط مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٦م.

خلق السماوات والأرض

المبحث الأول:

رواية سفر التكوين في خلق السموات والأرض والرد عليها

تمهيد:

قبل البدء في تناول رواية سفر التكوين في خلق السموات والأرض أريد أن أعطي لمحة سريعة عن معني السموات والأرض في اللغة، ولنبدأ أولاً ببيان

معني السماء:-

السماء يذكر ويؤنث وجمعه أَسْمِيّهُ وسموات والسماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء والسماء المطر يقال مازلنا نطأ السماء حتي أتيناكم والسمو الارتفاع والعلو منه سَمَوْت وسَمَيْت مثل علوتُ وعليْتُ [١].

والسماء يطلق عليها اسم الجَرْباء: أي السماء، سميت بذلك لما فيها من الكواكب، وقيل سميت بذلك لموضع المجرة كأنها قَرِبتْ بالنجوم. قال الفارسي: كما قيل للبحر أجرد، وكما سموا السماء أيضاً رقيعاً لأنها مرقوعة بالنجوم [٢].

فالسماء كل ما علا وهي الفلك الشامل لسائر الأجرام وتطلق علي كل سقف وذهب الفلكيون الأقدمون إلي أن السماء جرم محسوس وان الكواكب مثبته فيه، وذهب الفلكيون المحدثون إلي أن السماء – وهي الفضاء الذي فوقنا مما لا يحده التصور – تسبح الكواكب فيها سبحاً بلا ماسك لها إلا قدرة الله – تعالي – والحق ما ذهب إليه المعاصرون وليس في كتاب الله ما يرجح مذهب الأولين فإن كل ما ورد عن السماء وطبقاتها وانفراجتها وانفطارها يمكن توجيهه إلى أجرامها وسيارتها وهكذا [٣]

ثانياً: معنى الأرض:

---

(١) مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي / جـ١/ ص ٦ عنى بتربية / محمود خاطر بك / المطبعة الأميرية ببولاق / القاهرة الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م

(٢) لسان العرب / ابن منظور /جـ١ / ص ٢٦. / ط دار المعارف طبعة جديدة ومحققة.

(٣) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى فى عام ٧ هـ / المكتبة العلمية بيروت/ لبنان /ص٢٩.، دائرة المعارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى / جـ٥ ص٣.٦

أرض مؤنسة وهى اسم جنس وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة ولم يقولوا والجمع أرضات بفتح الراء وأرضون بفتحها أيضا وربما سكنت وقد تجمع على أروض وآ راض كأهل وآهال والأرض أيضا على غير قياس كأنهم جمعوا أرضا وكل ما سفل فهو أرض. والأرض لم تأت فى القرآن الكريم مجموعة حتى عند ذكرها فى مقابلة السماء فإن السماء تجمع على السماوات أما الأرض فإنها تبقى كما هى. (١)

والأرض أيضا النفضة والرعدة يقال بفلان أرض أى رعدة ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما : وقد زلزلت الأرض أزلزلت الأرض أم بي أرضى ؟ يعنى الرعدة وقيل بمعنى الدوار (٢)

وتأتى بمعنى الزُّكمة بتشديد الزاى وضمها – كما يقال رجل مأروض أى مزكوم والأرض لفظ مؤنث وكان حق المفرد المؤنث منها أن يقال أرضه – بتاء التأنيث – إلا أنه لم يسمع ذلك وقد ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى "وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (٣)

حيث جاء الفعل " سطحت " بتاء التأنيث دلالة على تأنيث فاعله لأنه يشترط مطابقة الفعل لفاعله فى التذكير والتأنيث – إلا أن الأرض لم تأت بتاء التأنيث وذلك كثير فى القرآن الكريم(٤)

وترد الأرض على كل ما سفل وكان مقابلا للسماء كما يقال لأسفل قوائم الإبل ففى المشهور أن قوائم الدابة يطلق عليها أرض وقد سميت بذلك لانخفاضها عن جسم الدابة كأنها تلى الأرض(٥)

والأرض التى نعيش عليها هى إحدى كواكب المجموعة الشمسية (٦) وترتيبها الثالث فى فلكها حول الشمس(٧).

وبعد العرض السابق لكل من معنى (السماء والأرض) ننتقل إلى بيان

---

(١) مختار الصحاح / جـ١/ص٦

(٢) لسان العرب / ابن منظور /جـ ٧ / ص ١١٣، الفائق/ جـ١ /ص٣٧

(٣) الغاشية/٢.

(٤) تاج العروس للزبيدى / جـ ٥/ ص٣/ فصل الهمزة باب الضاد

(٥) لسان العرب /لآبن منظور /جـ١/ص٦١/ مادة الأرض

(٦) المجموعة الشمسية هى/ عطارد –الزهرة – الأرض – المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانس ـ نبتون ـ بلوتو.

(٧) الأرض وما يتعلق بها من أحكام فى الفقه الإسلامى(رسالة ماجستير) الباحثة / جيهان صبرى/ ص١ وما بعدها.

رواية سفر التكوين لخلق السماوات والأرض والرد عليها:-

لقد لاحظ العلماء وعلى رأسهم (الأب ديفو) [١] أن سفر التكوين قد عرض قصتين أو روايتين عن الخلق وأن كلا منهما موضوعه إلى جانب الأخرى وأنهما يمثلان مرحلتين مختلفتين من تطور الديانة اليهودية.

وتقع القصتان أو الروايتان فى الاصحاحين الأول والثانى من هذا السفر فتحتل الأولى الإصحاح الأول كله والفقرات الثلاث الأولى من الإصحاح الثانى وتتمثل الثانية فى الفقرات (٤-٢٥من الإصحاح الثانى) [٢]

ومن الأفضل لنا أن نتوقف مع كل رواية ونقوم بدراستها منفصلة عن الرواية الأخري لنتعرف ونقف على الحقيقة:

*** الرواية الأولى عن الخلق:-**

تعتبر الرواية الأولى – كما يقول موريس بوكاى – بناء يتكون من أخطاء من وجهة النظر العلمية [٣] ولا بد من القيام بنقدها فقرة بعد فقرة [٤]

الفقرة الأولى من السفر فى التوراة، وهو سفر كون الدنيا:-

أنه قال: "فى الأول خلق الله السماء والأرض، فكانت الأرض غير منظور، وغير مستعدة، والظلمة فوق اللجة، وروح الله ترف فوق الماء. وقال الله: ليكن النور. فكان النور، ونظر الله أن النور حسن، وأفضل الله بين النور، وبين

---

(٨) الأب ديفو: هو أستاذ بمدرسة الكتاب المقدس، بالقدس. راجع:
دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة / ص٤.، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية /د/ فتحى محمد الزغبى / ص٥١./ ط١ / ١٩٩٤م، دار الباشير للثقافة والعلوم الإسلامية..

(١) " يقول الأب ديفو: إن الرواية الأولى تسمى بالرواية الكهنوتية والرواية الثانية بالرواية اليهودية. راجع المصدر السابق.

(٢) دراسة الكتب المقدسة /ص ٤١

(٣) ولعل تقسيم الرواية إلى فقرات حسب الترجمة البروتستانتينية والتى تعتمد على النص العبري الفلسطينى.

الظلمة، ودعا الله النور: نهاراً، والظلمة دعاها: ليلاً . وكان مساء وكان صباح يوما واحد اً [١]

وهنا يعلق الشيخ الفقيه علاء الدين الباجى الشافعى على تلك الفقرة بقوله:

(كيف يحسن أن يقال فى الأول أو البدء خلق الله وفى اليوم الأول. وقد ذكر بعده ما يقتضى أنهما مخلوقتان فى اليوم الثانى والثالث.

لأنه قال بعده فى اليوم الثانى (وقال الله: ليكن جلد وسط الماء) ثم قال بعده: (وصنع الله الجلد) ثم قال بعده: (ودعا الله الجلد سماء) [٢]

وقال بعده أيضا فى اليوم الثالث:

(وليظهر اليبس، وكان كذلك) ثم قال فظهر اليبس، ثم قال: (وسمى الله اليبس أرضا) [٣] ويتوصل الباجى إذا كانت السماء والأرض قد خلقتا فى اليوم الثانى والثالث، لم يكونا مخلوقتين (فى الأول) بل ظاهرة اللفظ: أن المخلوق فى اليوم الأول هو: (اللجة والظلمة)، ثم النور، ثم الليل والنهار: ثم فى اليوم الثانى: السماء، ثم فى اليوم الثالث: الأرض. فليس خلق السماء والأرض فى الأول لا بإعتبار الأيام، لأن خلق السماء فى اليوم الثانى والأرض فى اليوم الثالث، ولا بإعتبار المخلوقات، لأن قبلهما خلق الظلمة واللجة والنور والليل والنهار على ظاهرة هذا اللفظ [٤].

وكما نرى فإن الشيخ الباجى قد بين لنا التناقض فى ترتيب الخلق وأن النص قد ذكر خلق السماء والأرض فى الأول ثم ذكر بعده خلاف ذلك، وهذا يدل على تحريف فى النصوص مما لا يدع مجالا للشك فى أن هذه الأسفار لم تبق على ما كانت عليه وقت نزولها على موسي عليه السلام بل تبدلت

---

(٤)تكوين١: ١-٥، وفى نسخة: (فى البدء – عوض عن (فى الأول) وهما متقاربان فى المعنى – فكانت الأرض خربة خاوية، والظلمة كانت فى الغمر)

(٥) ص٩/ وما بعدها.

(٦) تكوين ١: ٩-١٣

(١) على التوراة: كتاب فى نقد التوراة اليونانية للشيخ الفقيه / على بن محمد بن عبد الرحمن /ص٩-٢.

وتغيرت بحكم ما قام به رجالهم من الإيتان بأباطيل وإقناع العامة بأنها قد وردت فى الكتب المقدسة.

وإذا كان هذا رأى الشيخ علاء الباجى فى النصوص السالفة الذكر – فإن موريس بو كاى – يذهب إلى أننا نستطيع أن نقبل تماما أن فى مرحلة ما قبل خلق الأرض ما كان يصبح الكون كما نعرفه غارقا فى الظلمات ولكن الإشارة إلى المياة فى تلك المرحلة أمر رمزى صرف وربما كان ترجمة لأسطورة وخاصة أن هناك مايسمح بالإعتقاد بوجود كتلة غازية فى المرحلة الأولى لتكون الكون، إن القول بوجود الماء فى تلك المرحلة غلط [١].

أما فيما يتعلق بالنور والظلمة والليل والنهار، فإن الشيخ الباجى أيضا قد أوضح التناقض الذى وقع فيه كتبة التوراة.

حين جمعوا بين الشيء وعدمه حيث جمع بين النور والظلمة فى آن واحد وفى ذلك يقول الشيخ الباجى:

كيف يحسن أن يقال (وأفصل الله بين النور وبين الظلمة) كيف يحق له أن يقول ذلك، فإن ظاهرة النص، أنهما عند خلق النور إختلطا، فإحتاجا إلى فصل بينهما ليتميزا، كإختلاط الحنطة والشعير، وليس كذلك. فإن النور لا يمكن أن توجد معه الظلمة أصلا، فضلا عن أنهما مختلطان، حتى يحتاجا إلى فصل بينهما، فإن من أوقد فى بيت مظلم سراجا مثلا لا يمكنه أن يقول، قد إجتمع فى البيت ظلمة ونور فيحتاجان إلى فصل بينهما، بل إنعدمت ظلمة البيت بمجرد إيقاد السراج فيه، والحقيقة:أن الظلمة عدم النور فالنور لا يجتمع معه عدمه حتى يحتاج إلى الفصل بينهما [٢].

ثم أنه كيف يحسن أن يقال (ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلا، فإن ظاهرة أن الليل والنهار مخلوقان فى اليوم الأول وأنهما بمجرد الظلمة والنور من غير شمس فإن الشمس ما توجد إلا فى اليوم الرابع، كما ذكر بعد ذلك فى

(٢) دراسة الكتب المقدسة / ص٤١

(٣) على التوراة / علاء الدين الباجى /ص٢.

القراءة الثالثة مع إنا نجد بضرورة عقولنا : أن النهار إنما هو بنور الشمس، كما ذكره الحكماء والنور المقابل للظلمة فى الدنيا، ليس إلا نور الشمس.

وهذا أمر لا يمكن أن يكابر فيه أحد فقبل وجود الشمس لا يمكن أن يوجد النهار، وهذا السؤال كما يقول الباجى بالحقيقة هو سؤالان. أحدهما : أن ظاهرة اللفظ أن الليل والنهار مخلوقان فى اليوم الأول مع أن الشمس المتوقف عليها وجود النهار إنما خلقت فى اليوم الرابع.

وثانيهما: أن النهار بنور غير نور الشمس مع أنا نجد الواقع بخلافه[1]. وهنا نجد موريس بوكاى يعلق على النور والظلمة والليل والنهار بقوله: (الكون الذى يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث فى النجوم ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد شكلت بعد فى هذه المرحلة حيث إن أنوار السموات لا تذكر فى سفر التكوين إلا فى الأية ١٤ بإعتبارها ما خلق الله فى اليوم الرابع (ليفصل بين النهار والليل) (ولينير الأرض وذلك صحيح تماما

ولكن من غير المنطقى أن تذكر النتيجة الفعلية (أى النور) فى اليوم الأول على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور أى (المنيرة) فى اليوم الرابع.

يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار فى اليوم الأول هو أمر مجازى صرف فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها: أى الشمس [2]

ويلاحظ من خلال هذه الفقرة أن الله خلق كل ما فى الكون بترتيب عجيب فكان الضوء يشيع فى الأفق قبل أن تخلق الشمس، لقد كان كتبة التوراة يجهلون – فيما يجهلون – أن تعاقب الليل والنهار إنما يولده تبدل موقع القارات من الشمس نتيجة لدوران الأرض حول محورها ولهذا جعلوا النور يخلق فى اليوم الأول [3]

(١) على التوراة/ص٢١

(٢) دراسة الكتب المقدسة / ص٤١.

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية / د/ فتحى محمد الزغبى / ص ٥١٢.

***الفقرة الثانية:**

(وقال الله ليكن جلد فى وسط الماء، وليكن فاصلا بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه الى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء وكان صباح يوما ثانيا) (١).

يقول الشيخ علاء الباجى هنا: كيف يحسن أن يقال: (وقال الله: ليكن جلد وسط الماء) ثم قال بعده: (وصنع الله الجلد) ثم قال بعده:

. (ودعا الله الجلد: سماء)؟ فإن ظاهرة أن السماء مخلوقة فى اليوم الثانى مع أنها قد ذكر أولا أنها مخلوقة فى الأول، فقد تناقد الخبران. (٢)

ويذكر موريس بوكاى رأيه فى الفقرة السابقة ذاهبا إلى أن أسطورة المياه هنا تستمر بإنفصالها إلى طبقتين بواسطة الجلد الذى سيجعل الطبقة العليا عند الطوفان من خلاله تمر لتنصب على الأرض، وينتهى إلى أن صورة إنقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولتين علميا (٣)

ويعلق(ليوتا كسبل) صاحب كتاب التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ؟ قائلا:

إن قصة المياه التى" تحت " الجلد والمياه التى "فوقه" تعكس الضلال القظ الذى عرفت به الشعوب البدائية كلها. فحسب التصورات القديمة، أن السماء عبارة عن جسم كثيف صلب، ومن هنا جاءت تسميتها با (لجلد) أى القساوة، اليابسة. واعتقدوا أيضا. أن تجمعا مائيا يقوم خلف ذلك الجلدة الذى تشكل السماء قاعه. وإذا كان كل قارىء يعرف اليوم أن المطر ماهو إلا الماء المتبخر من الأرض ؛ فقد اعتقدوا فى زمن ما، أن المطر هو الماء الذى ينساب من التجمع المائى العلوى،عبر فتحات صممت لهذا الفرض بالذات، لكن هذا الرأى الذى يثير السخرية اليوم صمد طويلا جدا فى أذهان الناس، ففى القرون المسيحية الأولى، أقره علماء اللاهوت كلهم (٤)

---

(٤) تكوين / ١: ٦: ٨

(٥) على التوراة / الباجى / ص ٢١.

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية /ص ٥١٣.

(٢) ص٦ / ترجمة د/ حسان ميخائيل إسحاق / ط١ / ١٩٩٤ م

*** الفقرة الثالثة:**

" وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلي مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً ورأي الله ذلك أنه حسن وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه ورأي الله لذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح يوما ثالثاً [١].

وهناك يعلق الشيخ الباجي بقوله: كيف يحسن أن يقال:" واجتمعت المياه التي تحت السماء إلي مجامعها " بعد قوله:" لتجتمع المياه التي تحت السماء إلي مجمع واحد، وليظهر اليبس، وكان بذلك " فان المجامع: جمع. والمجمع الواحد: مفرد وهما متناقضان، فيمتنع أن تجمع المياه في مجامع مع كونها في مجمع واحد.

ويستطرد الشيخ قائلا أيضاً: كيف يحسن أن يقال:" واجتمعت المياه. إلي مجامعها " بعد أمره لها باجتماعها في " مجمع واحد " ؟ فإن وقوع المأمور علي خلاف الأمر الإلهي التكويني ممتنع باتفاق العقلاء، ولا تقع المخالفة في الأمر التكليفي، فإنه إذا كلف الله تعالي شخصاً بشيء أمكن أن يعصي ويخالف الأمر، ولا يأتي بالمأمور به [٢].

أيضاً ومن غير المستحسن أن يقال: " وقال الله لتخرج الأرض نبات حشيش، باذر بزرة، كنحو جنسه وشبهه " مع أن الذي تخرجه الأرض يومئذ، لم يوجد قبله شيء من جنسه وشبهه، حتي يشبه به. بل هو أول نبات مبتدع من غير تقدم جنس له.فإن قيل:إن هذا اخبار لموسى عليه السلام بعد وجوده عن وقت خلق الأرض ونباتها، وبعد وجود موسي كان قد وجد النبات جنسي، وشبيه يشبه به حينئذ. قلت لا يصح هذا. لان هذا إخبار لموسي عن القول الذي صدر في ذلك الزمان، ولا يحسن صدور هذا القول في ذلك الزمان لعدم الجنس في ذلك الزمان وإن حسن في هذا الزمان بعد وجود الجنس. وإنما يصلح هذا الجواب في قوله في اليوم الخامس:" وأبدع الله حيتانا عظمة، وكل نفس الدبائب

---

(٣) تكوين ١: ٩ – ١٣.

(٤) علي التوراة / ص ٢٢.

الحية، التي أخرجتها المياه، كأجناسها " [1]. فإنه إخبار لموسي يومئذ عن فعل سابق، لا عن قول سابق.

كما يقول الشيخ الباجي: كيف يحسن أن يقال في الثمر:" وعودا مثمراً صانع ثمره: بزره منه وفيه، كالجنس والشبه "؟ [2] مع أنه ليس هناك جنس حينئذ، ولا شبه، كما تقدم بل هو أول عود مثمر [3]

ويعلق "موريس بوكاى" على هذه الفقرة السابقة بقوله: "مقبول علمياً أن القارات ظهرت فى مرحلة من تاريخ الأرض كانت هذه مغطاه بالماء.

ولكن أن يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ينتظم جيداً بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس (التي تظهر كما تقول سفر التكوين في اليوم الرابع، وأن ينتظم تعاقب النهار والليل فذلك ما لا يمكن مطلقاً القول به [4].

كما يعلق " ليوتاكسيل " ساخراً من كتاب الكتاب المقدس قائلاً: والحقيقة إنا عاجزون عن وصف دهشتنا حيال حكمة يهوه ! تخيل مثلا، لو أنه زرع الأرض شجراً مثمراً يطرح ثمراً من غير جنسه، فما الذي كان سيحل بالأرض ؟ فلنشكر الله لأنه لم يزرع أشجار تفاح تثمر برتقالاً، وأشجار برتقال تثمر اجاصاً، أو أشجار اجاص تثمر عنب الثعلب. إذاً لكان اختلط الحابل بالنابل. [5]

***الفقرة الرابعة:**

" وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لنفصل بين النهار والليل، وتكون علامات للأعياد كما للأيام والسنين ولتكن أنوار في جلد السماء لتنير الأرض. وكان كذلك فعمل يهوه النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم. وجعلها الله في جلد السماء لتنير علي الأرض،

(١) تكوين ١: ٢١.
(٢) تكوين ١: ١١.
(٣) علي التوراة / ص ٢٢ – ٢٣.
(٤) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤٢.
(٥) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ص ٧.

ولتحكم علي النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلمة، ورأي يهوه ذلك أنه حسن. وكان مساء، وكان صباح: يوماً رابعاً [١].

وهنا نجد الشيخ علاء الباجي قد تنبه إلي ما بهذه الفقرة من تناقض ولذا نجده قد نقدها من **وجوه سته:**

أحدها: أنه كيف يحسن أن يقال:" وقال الله: ليكن نيران في جلد السماء، وليضيئا علي الأرض [٢] ثم قال بعده أيضاً: فليضيئا في جلد السماء "؟[٣] فإن ظاهره أن الإضاءة والإنارة حصلتا في اليوم الرابع مع أنه قد تقدم أن النور خلق في اليوم الأول، وفصل النهار عن الليل فيه. فقد تناقض الخبران [٤].

وثانيها: إن ظاهره أن النور بهما. وقد تقدم في اليوم الأول. أن النور حاصل بدونهما، ولاسيما وفي نسخة [٥] هنا " وأفرق الله الضوء من الظلمة " [٦] فهذا تصريح بالسؤال، فقد تناقض الخبران.

و ثالثها: انه كيف يحسن أن يقال:" لتفصل بين النهار والليل " [٧] في اليوم الرابع ؟ وقد تقدم في اليوم الأول أنه قد فصل الله بين النور والظلمة، وسماهما: ليلاً ونهاراً، فتميز الليل والنهار فيه فقد تناقض الخبران.

ورابعها : إن ظاهره أنهما الفصلان بين الليل والنهار. وقد تقدم في القراءة الأولي: أن الله في اليوم الاول فصل بين النور والظلمة، اللذين سماهما ليلاً ونهاراً.فلم يحتج فصلهما بعد ذلك إلي فاصل آخر. والإ لزم منه تحصيل الحاصل، ولزم منه اجتماع المحصلين التامين علي المحصل الواحد، وهما محالان.

---

(١) تكوين ١: ١٤:١٩

(٢) تكوين ١: ١٤.

(٣) تكوين ١: ١٥.

(٤) علي التوراة / ص ٢٣، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية / ص ٥١٤ وما بعدها

(٥) " وفصل الله بين النور والظلمة " ترجمة. ١٩٧..

(٦) تكوين ١:٤.

(٧) تكوين ١: ١٤.

و خامسها: إنه كيف يحسن أن يقال:" والنجوم وضعها الله في جلد السماء لتنير علي الأرض، وترؤس علي النهار، وعلي الليل " ؟ [١] مع أن النجوم لا رياسة لها علي النهار، ولا أثر، ولاظهور أصلاً. بل رياستها علي الليل خاصة كالنير الأصفر، وأما رياسة النهار فللشمس خاصة.

و **سادسها:** أنه كيف يحسن أن يقال أيضاً: أنها " تميز ما بين النور والظلمة[٢] والليل والنهار، إنما هما النيران، كما ذكره في أول هذه القراءة. بل في الحقيقة ظلمة الليل هي التي تميز النجوم وتبينها، ونور النهار يخفيها.، لا أنها هي تميز ما بين النور والظلمة. فالأمر بالعكس.

و يقول ليوتاكسيل: بيد أنه ثمة أمر غريب، فبفضل توزيع النور بصورة دقيقة، مرت ثلاثة أيام بصبياحاتها ولياليها. وكان ذلك النور يترك مكانه لظلمات الليل، بعد أن يكون قد أضاء ذلك العالم الوليد طيلة النهار، دون أن يكون له مصدر مرئي، فليس هناك كلام عن الشمس حتي الأن، أي أنها لم تكن قد خلقت بعد.

و يعلق أيضاً ليوتاكسبل علي النص السابق بقوله: وهذا كله حقيقة صافية لا غش فيها، أليس كذلك ؟ فالحديث هنا عن الشمس والقمر. ‘اذاً وحسب التوراة، إن العدان انقسم إلي ليل ونهار، قبل ظهور الشمس، التي لم " يخلقها " يهوه إلا في اليوم الرابع بعد ظهور العالم.

و الحقيقة أنني لا أعرف ما الذي حدا " بالروح القدس " لان يلقن موسي مثل هذه الخرافات عن الشمس والنور ؟ ولكن تخيل قارئي الكريم، أنه حتي نهاية القرن الميلادي السابع عشر، كان العلماء يعتقدون أن الشمس ليست مصدر الضوء، بل هي " تمرره " عبرها وحسب، أما الضوء، فهو موجود بذاته. وحتي رينيه ديكارت نفسه [٣] كان من أنصار هذا الضلال.

---

(٨) تكوين ١: ١٦: ١٨.

(٩) تكوين ١: ١٨.

(١) فيلسوف فرنسى من فلاسفة العصر الحديث ولد بلاهى من أعمال مقاطعة تورين بفرنسا.(١٥٩٦-١٦٥٩).

و استمرت الحال هكذا حتي جاء الفلكي الدنماركي أولاف ريمر (١٦٤٤ – ١٧١٠)، الذي يدين العلم له باكتشاف حقيقة هامة جداً ناقضت تعاليم التوراة مناقضة تامة، وهي أن الضوء الساقط فوق عالمنا مصدره الشمس، وهو لا ينتشر دفعة واحدة.. ثم حدد هذا العلم سرعة الضوء ـ وهوما ثبتت صحته غير مرة – مبيناً أنه يصل من الشمس إلي الأرض في ثماني دقائق وثمان عشرة ثانية، أي أن سرعته حوالي ثلاث مائة ألف كيلو متر في الثانية. وقد توصل ديمر إلي إكتشافه هذا عن طريق مراقبة هبوط الظلام فوق الأقمار التابعة لكوكب المشتري، كان ريمر يقيم عندئذ في فرنسا، فكتب بحثاً عن إكتشافاته وقدمه في أكاديمية باريس، في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٦٧٥.[١]

أما كاتب سطور التوراة، فقد كان فريسة الجهل التام بشؤون الفلك، ولكن هذا لا يعفي يهوه من مسؤلياته، كان عليه أن يعرف كل شئ عندما كتبت التوراة.

و ما يلفت النظر، أن التوراة أعطت النجوم دوراً هذلياً في عملية الخلق : " نجمان كبيران " هما، الشمس والقمر، وهو تابع هذيل للأرض ! بيد أن هذا الكاتب الجاهل لم يكن يعلم أن القمر والأرض، وحتي الشمس، لا تعني إلا القليل من بناء الكون فحتي ! شمسنا الباهرة الضياء، التي تعد الضوء الرئيسي لعالمنا الشمس، ليست أكثر من نجم متواضع، إنها واحدة من عشرات مليارات النجوم، التي تتألف منها منظومة النجوم العظيمة، لمجرتنا [٢].

أما المؤلف " المقدس " فلا يري سوي الأرض، ويربط كل شئ بها. لكن الأرض ليست سوي واحد من الكواكب. وهي تدور حول كوكب صغير نسبياً، هو الشمس، التي تكبر الأرض ب ٣..... مرة، ومع ذلك يضعها مؤلف كتاب التكوين تبعاً لجهله في تبعية تابعتها، أي الأرض...

لاريب أنه لو قدر لمؤلف الهراء التوراتي أن يعود إلي الحياة اليوم، لصعق لدي قراءته أي كتاب شعبي في علم الفلك، أو زيارته لأي مركز فلكي حيث يستطيع

(٢) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ص ٩ و ما بعدها.
(١) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ص.٩

أن يراقب من هناك جبال القمر، وبقع الشمس، والأقمار التابعة لكوكب المشيري، والأجرام السماوية الآخري، التي زعم أن يهوه وضعها في الجلد السماوي [١].

***الفقرة الخامسة:**

" وقال الله لتفضي المياه زحافات ذات نفس حيه وليطير طير فوق الأرض علي وجه جلد السماء، فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت لها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه، ورأي الله ذلك أنه حسن، وباركها الله قائلاً أثمري وأكثري وإملأي المياه في البحار، وليكثر الطير علي الأرض، وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً " [٢].

و يذكر موريس بوكاي: أن هذه الفقرة تحتوي علي مزاعم لا يمكن قبولها:

يقول سفر التكوين بظهور عالم الحيوان أولاً وابتداء من حيوانات البحر والطيور.الواقع أن رواية التوراة تقول إنه في اليوم التالي – كما سنري ذلك في الآيات التالية – أسكنت الأرض بالحيوانات.

و لا شك أن أصل الحياه مائي، وإبتداءاً من هنا إن جاز القول، احتلت عالم الحيوان الأرض، ومن الحيوانات التي تعيش علي سطح الأرض وهي فئة خاصة من الزواحف كانت تعيش في العصر الثاني. جاءت الطيور فيما يعتقد.

و هناك كثير من السمات البيولوجية المشتركة بين هاتين الفئتين التي تسمح بهذا الاستنتاج.

و لكن سفر التكوين لا يشير إلي الحيوانات الأرضية إلا في اليوم السادس بعد ظهور الطيور، وإذاً فنظام ظهور الحيوانات الأرضية والطيور هذا غير معقول [٣].

***الفقرة السادسة: –**

---

(٢) المصدر السابق / ص ١..

(٣) تكوين ١: ٢. – ٢٣.

(٤) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤٣وما بعدها.

.

" وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها، وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها، ورأي الله ذلك أنه حسن، وقال الله نعمل الإنسان علي صورتنا كشبهنا، فيتسلطون علي سمك البحر وعلي طير السماء وعلي البهائم وعلي كل الأرض وعلي جميع الدبابات التي تدب علي الارض، فخلق الله الإنسان علي صورته، علي صورة الله خلقه ذكراً وأنثي خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا وإملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا علي سمك البحر وعلي طير السماء وعلي كل حيوان يدب علي الأرض.

و قال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذراً علي وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذراً، لكم يكون طعاماً، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دابة علي الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً، كذلك ورأي الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً، وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً " (١).

و هنا يذكر الشيخ الباجي معلقاً علي النص السابق: كيف يحسن أن يقا ل: " قال الله: فلتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ووحوش الأرض، وبهائم وكل دواب الأرض كجنسها، وكان كذلك " ؟ (٢)

مع أنه لم يوجد يومئذ شئ من جنسها يشبه به... وليس هذا مثل قوله في القراءة الثالثة في اليوم الخامس: وأبدع الله حيتاناً عظيمة، وكل نفس الدبائب الحية، التي أخرجتها المياه كأجناسها " (٣) لأن ذلك أخبار عن فعل سابق، وفي وقت الأخبار لها جنس. وهذا هنا إخبار عن قول سابق. وهذا القول السابق لا يحصل في الوقت السابق لعدم الجنس فيه.

---

(١) تكوين / ١: ٢٤ – ٣١

.

(٢) تكوين ١: ٢.

(٣) تكوين ١: ٢١.

ويقول الشيخ أيضاً كيف يحسن بعد ذلك أن يقال " وأبدع الله وحوش الأرض كجنسها " [1] وهو تكرار له بعينه من غير زيادة فائدة، بل الأول أبسط وأكثر فائدة.كما أنه كيف يحسن أن يجمع هذا الكلام الثاني مع قلته بين لفظتين متنافيتين. فإن قوله: " أبدع " يقتضي الخلق من غير تقدم جنس وشبه. إذاً حقيقة الابداع. وقوله عقيبها: " كجنسها " يقتضي تقدم جنس يشبه به، وذلك متناقض.و أيضاً في هذه الفقرة السابقة يعدد الكتاب في وصف تمام الخلق كل المخلوقات الحية غير المذكورة سابقاً ويشير إلي الأقوات المختلفة الموضوعة تحت تصرف الناس والحيوانات .

و كما نري – فيما يذكر موريس بوكاي – فإن الخطأ يمكن في وضع ظهور الحيوانات الأرضية بعد ظهور الطيور، ولكن ظهور الإنسان علي الأرض محدد بشكل صحيح بعد ظهور الفئات الأخري من الكائنات الحية [2]

و تنتهي رواية الخلق الاولي بالآيات الثلاث الأولي من الإصحاح الثاني: " فأكملت السموات والأرض بكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً "[3]

و أول ما يؤخذ علي هذه الفقرة الأخيرة وصفهم للإله بأنه قد استراح اليوم السابع وهذا ممتنع فى حق الله سبحانه وتعالي " [4].

و سوف أقوم بمناقشة هذه القضية وبيان ما فيها من مخالفة للعقيدة الإلهية في المبحث القادم من هذا الفصل.

* الرواية الثانية للخلق:-

أما وقد انتهينا من الحديث عن الرواية الأولي للخلق فقد حان لنا أن نتحدث عن الرواية الثانية له، والتي يقول عنها " موريس بوكاي " إ ن رواية الخلق

---

(٤) تكوين ١: ٢٥.

(١) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤٤.

(٢) تكوين ٢: ٣/١.

(٣) على التوراة ـ لعلاء الدين الباجى / ص٢٧.

الثانية – والتي يحتوي عليها سفر التكوين والتي تلي دون إنتقال ودون تعليقات الرواية السالفة –لا تسمح بنفس الانتقادات التي وجهت إلي الرواية الاولي وأنها رواية ترجع إلي تاريخ أكثر قدماً من الأولي نحو إلي ثلاثة قرون وهي رواية قصيرة جداً ولكنها أكثر إفاضة فيما يخص خلق الإنسان وجنة الأرض ومما يخص خلق الأرض والسماء الذي تذكره بإيجاز شديد (١).

تقول الرواية:

" هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر علي الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض، وجبل

الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية " (٢)

و يعلق موريس بوكاي علي هذه الفقرة بأنها:

هي الرواية اليهوية الموجودة في نصوص كتب العهد القديم التي نملكها حالياً، هذه الرواية التي أضيفت إليها فيما بعد الرواية الكهنوتية هي كانت علي هذا القدر من القصر.....؟

(٤) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤٥ – ٤٦، و يري بوكاي أن رواية الخلق الثانية تشتمل علي الآيات من ٤– ٧ من هذا الاصحاح فقط و هو بذلك يخالفا سائر الباحثين حيث يرون أنها تبدأ من ٤ إلي ٢٥ لأن فيها ذكر خلق حواء، و لعل وجة نظر بوكاي أن بقية الأيات من٨–٢٥ تتعلق بالحديث عن جنة عدن وإسكان آدم بها، لكن ذكر خلق حواء من ضلع آدم يعني أن الرواية مستمرة إلي نهاية الإصحاح الثاني و هو ما عليه سائر الباحثين.
انظر / تأثر اليهودية بالأديان الوثنية / د / فتحي الزغبي / هامش ص ٥١٨.

(١) تكوين ٢: ٤.

و يذكر أنه لا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كان النص اليهودي قد قطع عبر الأزمنة، ولا يستطيع أحد أن يقول ما إذا كانت السطور القليلة التي في حوزتنا تمثل فعلاً كل ما كان يمكن أن يحتوي عليه أقدم نص للتوراة عن الخلق [١]

و يري موريس بوكاي أن هذه الرواية اليهوية لا تشير إلي تشكل الأرض بشكل واضح وخاص ولا إلي تشكل السماء. إنه يدع للفهم الضمني أن عند خلق الله للإنسان لم تكن هناك نباتات أرضية (فلم يكن المطر نزل بعد)، هذا برغم أن المياه الآتية من العمق كانت تغطي سطح الأرض. وتؤكد هذه البقية التالية للنص: زرع الله بستاناً ففي نفس الوقت الذي خلق فيه الإنسان.

و هكذا يظهر عالم النبات في نفس وقت ظهور الإنسان علي الأرض، وهذا علمياً خطأ، فقد ظهر الإنسان علي الأرض حين كانت الأرض منذ زمن بعيد حاملة لنباتات، وإن كنا لا نستطيع أن نقول كم من مئات الملايين السنوات قد كانت بين الحدثين.

ذلك هو الإنتقاض الوحيد الذي يمكن توجيهه إلي النص اليهوي للخلق، فبما أنه لا يحدد في الزمن لحظة خلق الإنسان بالنسبة إلي تشكل العلم وتشكل الأرض، هذا الذي يضعه النص الكهنوتي في نفس أسبوع الخلق، فإنه يفلت من إنتقاد خطير كان يوجه لهذا الأخر.

هذا هو رأي موريس بوكاي – بناء علي وجهة نظره في تحديد نص الرواية الثانية [٢].

هذا ويقول القس " حبيب حكيم " صاحب كتاب مقتطفات من سفر التكوين مؤكداً [٣] ما ذكره موريس بوكاي:

---

(٢) دراسة الكتب المقدسة/ص٤٦.

(٣) دراسة الكتب المقدسة / موريس بوكاي / ص ٤٦.

(٤) ص ١٩ و ما بعدها / القاهرة ١٩٧٢ م / المطبعة المتحدة تقديم دار القس لبيب مشرقي.

إن أهم الحوادث في سفر التكوين هو الخلق، فالخلق هو الإبداع والإظهار في الوجود. والمقصود بالخلق هنا إيجاد الكون بكل ما فيه ومن فيه منسوباً إلي الله خالق الكون الأعظم.

و في سفر التكوين ١، ٢:٤-٧- قصة الخلق كما دونها الوحي المقدس. وفيها نقرأ عن الله الخالق الذي أبدع الكون في ستة أيام عمل وفي يوم سابع رواحة.

ففي اليوم الأول خلق الله النور.

و في اليوم الثاني خلق الله الجلد.

و في اليوم الثالث ظهرت اليابسة.

و في اليوم الرابع ثبت الله الأنوار في جلد السماء.

و في اليوم الخامس خلق الله الطيور.

و في اليوم السادس خلق الله الإنسان.

ثم يعلق علي ما سبق قائلاً: ويبذل العلماء والمفكرون جهوداً مضنية.

للتقريب بين ما دونه الوحي في سفر التكوين وبين الدراسات في علم طبقات الارض وما إليها من علوم.

البعض لا يري تعارضاً بين العلم والدين والبعض يري تعارضاً بينهما.

هناك بعض الوثائق في التاريخ البابلي والتاريخ الأشوري تتحدث عن الخلق وتوجد أوجه شبه بما جاء بها وما ورد في سفر التكوين.

و في أواخر القرن التاسع عشر تحدث الباحثون عن إكتشاف نسخة من تاريخ الخلق تشبه إلي حد بعيد ما جاء في سفر التكوين، ويرجع الفضل في ذلك إلي المتحف البريطاني حيث يوجد الأن به ٢٩ لوحا من بينها الحديث عن الخلق.

أما عن المقطوعة البابلية للخلق فإنها تنقسم إلي سبعة أجزاء تحتوي علي ٩٤٤ سطراً وتقريباً يحتوي كل جزء منها ١٤. سطراً ويحاول كل جزء منها أن يتحدث عن يوم من أيام الخلق. وأن النسخة الموجودة من المقطوعة البابلية يرجع تاريخها إلي حكم أشور بانيبال ٦٨٨- ٦٢٦ ق.م.

و في بعض أجزاء من اللوح الأول الحديث عن ميلاد (نوريماد) [1] وفي اللوح الخامس الحديث عن تثبيت المجموعة الشمسية في الجلد.
كما يتحدث اللوح السادس عن خلق الإنسان. وفي هذا تقول المقطوعة:أن الله صنع الإنسان من نفسه ومن دمه.
أما عن خلق الإنسان فبالرغم من زيادة المعرفة وتقدم الأبحاث، إلا أنه حتي الأن فالضباب الذي انتشر حول خلق الإنسان مازال عالقاً به، وما علينا إلا أن نقرر ما سطره الوحي بأن الإنسان قد خلق علي صورة الإنسانية وليس علي صورة ما من الصور قد تطورت حتي وصل الإنسان علي ما عليه الآن [2]
و بذلك يبطل القس حبيب النظريات الوجودية القائلة بالتطور.

و يؤكد هذه الحقيقة السابقة أيضاً ما ذكره نقاد التوراة وعلي رأسهم فلهاوزن [3] الذي ذهب إلي القول: إن قصة الخلق في سفر التكوين مجرد نتاج إنشائي وحر لمؤلف المصدر الكهنوتي[٤].
وأكدها أيضاً الناقد جونكل[٥] فقد بحث هذه القصة وبرهن علي أن هذا القسم بكل صورته الحسابية والعددية يشمل خرافة قديمة ليس مصدرها بني إسرائيل.
وعندما وازن المادة الأسطورية في قصة الحلق مع أسطورة الخلق البابلية، كما هي محفوظة في أقوال الكتاب اليوناني وفي النسخة القديمة علي خرائب هيكل أشوربنيبال، اتضح له أين ظهرت وازدهرت هذه الخرافة.

---

(١) " نوريماد " هو خلق الأنوار.
(٢) مقتطفات من سفر التكوين القس حبيب حكيم / ص ١٩، ٢..

(١) فلهاوزن،١٨٤٤ ـ ١٩١٨ م كان ممن أدلى بدلوه فى مجال عملية النقد حيث تناول عملية الربط بين المصادر ومراحل تطور الديانة اليهودية فأعاد ترتيب المصادر حسب علاقتها بتاريخ اليهودية فأصبح فلهاوزن من أبرز الناقدين للتوراة فى هذا العصر. انظر دراسات علمية فى المسألة اليهودية / أ. د /آمنة محمد نصير/ ص٥٩ / ط/١٩٩٩ م.
(٢) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتي العصر الحديث /ص ١٥٥.
(٣) جونكل هو: من أبرز الناقدين للتوراة فى العصرالحديث.

ولكي يقف علي العلاقة بين وصف قصتي الخلق البابلية والعدية البعيدتين هذه عن تلك، والموازيتين هذه لتلك: لم يكتف لمقارنة القصتين فحسب بل قارن كل أقوال أبواب العهد القديم سواء الموجود داخل أسفار العهد القديم، أو الذي بقي خارجاً عنه، وإستخرج من داخلها أشعاراً ومزامير وسجلات وصوراً للمادة المتعلقة بنشأة الكون والتي أدمجت فيها وذابت داخلها.

و ها هو ذا عالم كامل لخرافة أصلها في بابل ومصدرها في أساطير الخلق نشأ في محيط إسرائيل: رهب (إشعيا ٣:٧ ؛ ٥١:٩ ؛ المزامير ٤.–٥؛ ٨٧– ٤ ؛٨٩: ١١؛ أيوب ١٣:٩ ؛ ٢٦: ١٢)، لوياث (إشعيا ١:٢٧ ؛المزامير ٧٤: ١٢ – ١٩: ١.٤: ٢٥ ؛أيوب ٣: ٨ ؛ ٢٥:.٤ ؛ ٤١: ٢٦ ؛ بهائم أشعيا ٣.– ٦ ؛ أيوب ١٥:٤. ؛ انظر أيضاً حنوخ ٩–٦:٧. ؛ عزرا ٤٩،٦:٤)؛ التينين (إشعيا ٩:٥١ ؛ إرميا ٣٤:٥١ ؛ حزقيال ٣:٢٩؛ المزامير ٤٤:.٢ ؛ أيوب ١٢:٧ ؛ انظر أيضاً مزامير سليمان ٢٨:٢؛ الحية (عاموس ٣:٩) ؛ بني الكبرياء أيوب ٢٦:٤١ ؛ أعوان رهب (أيوب:١٣:٩) – والتي تجمع في العبارة التالية: ليست حصن سلطان يهوه محتجر رهب، صانع تنين تحطم لوثيان، قهر مثل قتيل رهب وحطم رؤوس التنين في المياه !!

و تتكرر في أدب الأنبياء وأصحاب المزامير هذه الأسطورة البابلية القديمة عن حرب الإله ضد الوحوش الضخمة علي عتبة الخلق، وذلك بأسماء مختلفة وصبغ متنوعة ولأهداف متباينة إستمرت في أعماق بني إسرائيل وحلقت في خيالها، وذلك علي الرغم من أنها لم تنبثق داخل الرؤية اليهوية.

و بعد أن جمع جونكل من ثنايا نتاج مؤلف العهد القديم كل المادة الأسطورية المطبوعة كلها بطابع الميثولوجيا القديمة، وقارنها بقصة الخلق في سفر التكوين (الإصحاح الأول)، وأدرك أن هذا القسم متأخر عن كل المادة المتنوعة السابقة عليه في إسرائيل، وأنه ليس سوي صدي هزيل له ومتصل به والرؤية التنبؤية المقدسة حلت محلها الصفات القديمة وصور الخرافة المنتشرة. وقد ضم صاحب المصدر الكهنوتي نظرية الخلق القديمة إلي قصة الخلق الموجودة. وعندما وصل جونكل إلي السؤال: متي تسربت وجهة النظر البابلية إلي ثقافة بني إسرائيل ؟ اتضح له بعد أن فحص كل عصور اتصال هاتين الثقافتين، أن

عمر هذه العلاقة قديمة جداً والأسطورة البابلية القديمة عن مردوك ذلك الإله الذي حطم العمر وسيطر علي المحيط البدائي وعمل من نصفه سماء ونصفه مياه انتقلت إلي أرض كنعان قبل أن يظهر بنو إسرائيل. والفترة القديمة التي ذكرت في الرسائل التي جلبت في أحضانها الأساطير الدينية البابلية، وبخاصة أسطورة الخلق التي استخدمت في تكوين قصة الخلق في العهد القديم (١).

و من خلال هذا المصدر الكنعاني وبواسطة الشعب المستقر في فلسطين استحدث إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضاً وبقدر ما إستمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية قامت بتحرير ثقافة بابلية أخري جديدة وصاغتها طبقاً لهدفها، واستمدت منها تشبيهاتها ومؤلفاتها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها. ولم يحتل يهوه فيها فقط مكان مردوك، بل خلعها من كل الميثولوجيا القديمة وسلسلة الأحداث الغريبة عن دين الأنبياء، وامتلأت روحاً ومضموناً جديداً لولا أصداء قليلة وقديمة مطبوعة بالطبع البابلي، الذي لا يزال مخيماً عليها مثل الظلمة القديمة، خربة وخالية، الغمر بمثابة اسم، انقسام المياه، تنين المياه، جند السماء، " نصنع " الإنسان، ورأي أنه حسن لم يكن مصدرها البابلي ملوساً، لأن روحاً أخري وازنتها، تلك هي روح الإله الواحد خالق السماء والأرض والمسيطر علي الكل.

و بالتالي فإن جونكل قد غاص في أعماق المؤلف وحدد قاعدة هي: أن هذا الإشتراك لم يكن متأخراً ولم يكن مصادفة، بل كان موجوداً في الطبقة الأساسية للثقافة الإسرائيلية. وأن روح بابل تسللت إلي داخل كنعان، وتاهت في وسطها خلال عصور عديدة قبل إحتلال الأرض بواسطة العبريين، وبعد أن جاء الإسرائيليون إلي الأرض، وساروا في طرق شعب الارض تشربوا الثقافة البابلية من هذا الوسيط الثاني.

و منذ ذلك الحين، أي بداية من عصر سنوات التكوين وإنتهاء سنوات التصادم الجديدة مع بابل – خلال عصر سلطان أشور في القرن السابع قبل

(١) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتي العصر الحديث / تحرير زالمان شازار / ص ١٥٥و ما بعدها ترجمة أحمد محمد هريدى / تقديم و مراجعة محمد خليفة حسن / المشروع القومي للترجمة.

الميلاد عندما كانت يهودا تدفع الجزية، وكذلك في عصر السبي في القرن السادس قبل الميلاد – لم تتوقف الثقافة الإسرائيلية طوال تلك العصور عن الصراع مع الثقافة البابلية،

و ذلك بمحاربتها والاقتباس من داخلها [١].

و ذكر أيضاً د/ فيد شموئيل لوتساتو[٢] موضحاً أن قصة الخلق لا تفهم كحقيقة علمية، وعلاوة علي ذلك فإن التوراة لا تمثل كتاباً تعليمياً في تطور الطبيعة. ويقول " بفهم المثقفون أن القصد في التوراة ليس نشر العلوم الطبيعية، فالتوراة لم تعط إلا لتقويم البشر بأسلوب العدل والقانون، وتؤسس في قلوبهم عقيدة التوحيد والعناية الإلهية.. وموضوع الخلق لم يسرد كلية، ولم يكن متوقعاً أن يسرد في التوراة بأسلوب فلسفي [٣] .

و يؤكد هذه الحقيقة التي توصل إليها نقاد العهد القديم، ما ذكره د/ صابر طعيمة في كتابة [٤] حيث جاء:-

(١) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتي العصر الحديث / زالمان شازار/ ص ١٥٦ و ما بعدها.

(٢) دافيد شموئيل لوتساتو كان أول من ركز في بحثة علي العهد القديم وفروع البحث المتشعبة عنه، و رغم أنه كان معارضاً لنقد العهد القديم الأدبي في عصره معارضة مطلقة، فتوجد عنده أقوال و تعبيرات نقدية و مع كل هذا، فقد كان أحد المؤسسين الأساسيين والاوفياء في الأدب اليهودي و كان شموئيل يؤمن إيماناً تاماً بتمام التوراة و قداستها المطلقة. و مع ذلك فقد كان واحداً من القلائل الذين تغلغلوا داخل أغوار اللغة العبرية و كشف أسرارها، و قد شعر من خلال فحص مميز بوجود خلل في النص، و بعض التحريفات التي تسللت للنصوص المقدسة. كما كان له أيضاً ميزة خاصة: هي أنه كان يتنبه من خلال جوانب النص المحرف إلي صورته الأولي و يقف عليها. ولأنه سمح بتعديل النصوص المقدسة فقد حورب بقوة راجع. / تاريخ النقد من أقدم العصور حتي العصر الحديث / ص ٢.٨ و ما بعدها

(٣) المصدر السابق / ص٢.٩.

(٤) التراث الإسرائيلي في العهد القديم و موقف القرآن الكريم منه / ص ٣٩١ / نشر دار الجبل – بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

فبالمقارنة البسيطة نجد قصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية والتي أفاض فيها " سفر التكوين " تشابة إلي حد كبير قصة الخليقة فيما تركة البابليون من ميراث عن معتقداتهم في الإله، بل إن عقيدة " المخلص " التي تبدو واضحة في تفسيرات رجال اللاهوت لنصوص العهد القديم ترجع أصولها إلي معتقدات فارسية.

و الحقيقة إننا لو تتبعنا بقية فقرات الرواية الثانية للتوراة لوجدنا أنها قابلة لانتقادات كثيرة، وخاصة فيما يختص بأشجار وأنهار الجنة.

و خلق حواء من ضلع آدم. وسوف أقوم بعرض النصوص الخاصة بذلك أثناء تناولي خلق الإنسان في الفصل القادم.

المبحث الثانىروايةالقرآن الكريم في خلق السماوات والأرض

تمهيد:-

بعد أن تحدثنا عن رواية سفر التكوين في خلق السماوات والأرض ننتقل إلي بيان رواية القرآن الكريم في قصة الخلق ليعطينا المعرفة الكاملة فيها، وليصل بنا إلي الطريق السليم، وذلك لما في القرآن الكريم من الشمولية والصدق والسند المتصل، والهيمنة علي ما لدي اليهودية، فأسلوب القرآن العظيم شئ آخر، يختلف تماماً عن الأساليب التي يصوغها البشر لأن الأساليب البشرية تحمل بين ثناياها طاقة البشر وقدرتهم ومرادهم، أما الأسلوب القرآني فتسري بين مفردات جمله وتراكيبه مشيئة الله وإرادته في هداية خلقه وعونه لهم، وتتخلله روح تسري في قلب المؤمن ووجدانه فيشعر بذاته مهيمنة علي ما حوله ومتصلة به [١].

والقرآن الكريم حين يتحدث عن قصة الخلق، نجده يختلف عن العهد القديم من حيث إنه لا يقدم رواية كاملة عن الخلق فبدلا من الرواية الواحدة المستمرة نجد فى أماكن متعددة من القرآن فقرات تذكر بعض جوانب الخلق وهى تشتمل على كثير أو قليل من التفصيلات حول أحداث الخلق.

ولكى تكون هناك فكرة واضحة عن الطريقة التى سيقت بها هذه الأحداث، لا بد من تجميع الفقرات المتناثرة فى عدد هام من السور القرآنية [٢]

وهناك أيضا بينهما اختلافات جلية فعلى سبيل المثال:

تذكر رواية التوراة اليهودية دون أى غموض تمام الخلق فى ستة أيام يتبعها يوم الراحة وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع وسبق وأن ذكرت أن هذه الطريقة فى السرد التى استخدمها كهنة القرن السادس ق.م تستجيب لنيات الحض على ممارسة،سبت الراحة: فعلى كل يهودى أن يستريح يوم السبت [٣] كما فعل

---

(١) التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه / د /صابر طعيمة / ص ٦٠٢، ٦٤. / دار الجيل – بيروت ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م

(٢) دراسة الكتب المقدسة / لموريس بو كاى /ص ١٥٧ وما بعدها، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية / د/ فتحى محمد الزغبى / ص ٥٤٦ وما بعدها.

(٣) أتت كلمة "سبت " من فعل فى العبرية يعنى الإرتياح.

الرب بعد أن عمل طيلة أيام الإسبوع الستة [١] وسوف أقوم بمناقشة هذه القضية فى مبحثها الخاص بها وأقوم بالرد عليها

إن كلمة "يوم "كما يفهم من التوراة تعرف المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين متواليين وذلك بالنسبة لسكان الأرض. إن اليوم، وقد تحدد بهذا المعنى، يرتبط وظيفيا بدوران الأرض حول نفسها واضحا تماما أنه من المستحيل منطقيا أن نتحدث عن "الأيام" بهذا المعنى الذى تحدده على حين أن العملية المركبة التى ستؤدى إلى ظهورها، أى وجود الأرض ودورانها حول الشمس لم تكن قد أنشئت بعد عند أول مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة [٢].

ومن المعروف أن إدراج مراحل الخلق المتعاقبة فى إطار أسبوع، هذا الادراج الذى أراده الكاتب الكهنوتى بهدف الحث على الطاعة الدينية، لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية. فمعروف تماما فى أيامنا تشكل الكون والأرض، قد تم على مراحل تمتد على فترات زمنية شديدة الطول لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها حتى تقريبيا.

وحتى إذا كانت الرواية تنتهى مساء اليوم السادس،ولا تحتوى على إشارة إلى اليوم السابع،يوم الراحة الذى استراح فيه الله، وحتى إذا كان مسموحا لنا، كما هو الأمر بالنسبة للرواية القرآنية، أن نعتبر أن المقصود فعلا هو فترات غير محددة وليس أياما بالمعنى الحقيقى، فإن النص الكهنوتى يظل غير مقبول،حيث إن تعاقب الأحداث فيه يناقض المعلومات العلمية " الأصلية " [٣].

أما القرآن الكريم فقد ذكر فعلا أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام حيث قال تعالى:-

---

(٤) دراسة الكتب المقدسة / ص/ ١٥٨.

(١) المصدر السابق نفس الصفحة

(٢) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤٥ / وذلك من خلال النقد الموجه إلى روايتى الخلق فى توراة اليهود.

"اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ " (١).

وقوله تعالى أيضاً " إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"(٢).

وهناك العديد من الآيات التى تشير إلى خلق السموات والأرض فى ستة أيام، وسوف أتعرض لها عند الحديث عن خلق السموات والأرض كل على حده.

والحقيقة إن القرآن الكريم حينما يقول بخلق السموات والأرض فى ستة أيام لا يعنى ذلك ضرورة أن تكون أياما كأيامنا ذات صباح ومساء كما عرض سفر التكوين.

– ويؤكد هذه الحقيقة "موريس بوكاى " حينما يذهب إلى القول بإنه إذا رجعنا إلى نصوص غالبية ترجمات القرآن فإننا نقرأ فيها بالتجانس مع ما تعلمنا التوراة به – أن القرآن يقول هو أيضا بإمتداد عملية الخلق على مدة ستة أيام.

ولا يمكن بالطبع أن نعتب على المترجمين أنهم قد ترجموا كلمة " يوم " بالكلمة المعادلة لأكثر المعانى شيوعا للكلمة العربية.

وهكذا تعبر عنها الترجمات عادة مادمنا نقرأ فى سورة الأعراف –٧– الأية ٥٤ " إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ."

وقليلة حقاً ترجمات القرآن أوالتعليقات التى تنبه إلى أن كلمة أيام، فى الواقع يجب أن تفهم على أنها تعنى " مراحل " بل لقد إدعى البعض القول بأنه إذا كانت نصوص القرآن الخاصة بالخلق قد قسمت مراحل الخلق فى " أيام " فقد كان ذلك يهدف عن قصد إلى استئناف ما كان الكل، من يهود ومسيحيين فى فجر الإسلام، يعتقد به وذلك تجنبا لمجابهة اعتقاد منتشر.

الواقع ودون أى رفض مطلق لهذه الطريقة فى الرؤية ألا يمكن أن نرى المشكلة عن قرب أكثر وأن نفحص المعانى الممكنة فى القرآن نفسه وفى لغة العصر

(٣) سورة السجدة / ٤.
(٤) سورة الأعراف / ٥٤.

عامة لتلك الكلمة التى يستمر عدد من المعلقين فى ترجمتها" بيوم " والجمع " " أيام ". إن الكلمة المفردة تنحو إلى الدلالة على النهار أكثر منها للدلالة على فقرة زمنية بين غروب الشمس وغروبها فى اليوم التالى.

أما إذا جمعت فلا تعنى فقط أيام أى وحدات تتكون منها من أربع وعشرين ساعة، بل تعنى أيضا دهراًطويلا أو فترة من الزمن غير محددة وإن طالت.

ومن ناحية أخرى فمعنى " فترة زمنية " الذى يمكن للكلمة أن تدل عليه موجود أيضا فى القرآن الكريم ففى سورة السجدة الآية ٥ نقرأ ما يلى :" يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية السابقة علي الآية ٥ تذكر بالتحديد الخلق في سته أيام كما وضحنا سابقاً منذ قليل.

وفي سورة المعارج الآية ٤ "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ "

وأيضاً في سورة الحج آية ٤٧"وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ "

ويعلق موريس بوكاي بقوله هنا: –

" وكون أن كلمة يوم كان يمكن أن تدل علي فترة زمنية تختلف تماماً عن تلك التي نعطيها لمعني "اليوم " قد بهر كثيراً من المفسرين القدامي الذين كانوا لا يملكون بالطبع أي معارف من تلك التي نملكها اليوم عن مدة مراحل تكون الكون فبهذا الشكل في القرن السادس عشر الميلادي، ظن

أبو السعود [١] الذي لم يكن يملك معرفة عن اليوم كما يحدده علم الفلك للاستناد إلي دورة الأرض، أن من الواجب تصور تقسيم "مراحل ليس إلي أيام بالمعني الذي نفهم عادة بل إلي نوبات ".

ويؤكد موريس بوكاي علي أن هناك مفسرون ومحدثون قد أخذوا بهذا التفسير. فيوسف علي ١٩٣٤ في تفسيره [٢]. لكل آية تعالج مراحل الخلق يصر علي ضرورة اعتبار أن الكلمات التي تفسر في سياق آخر بمعني أيام تفسر هنا في الواقع بمعني " فترات طويلة " أو عصور [٣].

والحقيقة أن الآيات القرآنية السابقة تبين لنا أن اليوم عند الله تعالي كألف سنة مما يحسب البشر فاليوم في القرآن الكريم " وإن كان قد أطلق... علي اليوم العادي مثل يوم الجمعة، وبمعني اليوم عند العرب في حروبها، مثل، يومي (بدر)، (وحنين) قد أطلق فيه علي الحقبة من الزمان، يتجاوز طولها كل ما يمكن أن يخطر ببال إنسان يطلق عليه لفظ يوم، كما فى قوله تعالى "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ "، ومن ثم فإن المفسرين يذكرون أن الأيام الستة هي أيام الأسبوع ثم اختلفوا: هل كل يوم فيها كهذه الأيام، كما هو المتبادل إلي الأذهان، أو كل يوم كألف سنة، أو كخمسين ألف سنة ؟ ولكنهم مع هذا الاختلاف يؤمنون بأن الله تعالي قادر علي أن يخلق الكون في لحظة، وخلقه في ستة، إنما لحكمة يعلمها سبحانه

(١) يقول أبو السعود: في ستة أيام، أي في ستة أوقات أو في مقدار ستة أيام معهودة فإن نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الأرض مما لا يتصور تحققه حين لا أرض ولا سماء وفي خلقها مدر جامع القدرة التامة على إبداعها دفعة دليل على الأختبار واعتبار للنظار وحث لهم علي التأني في الأحوال والأطوار وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته. تفسير أبي السعود / جـ ٣ / ص ٢٣٢.

(٢) دراسة الكتب المقدسة / ص ١٥٩.

(٣) تفسير المصدر السابق / نفس الصفحة.

وممن نص على أن اليوم كألف سنة مجاهد والإمام أحمد بن حنبل وإبن عباس رضي الله عنهم " [١]. ويروي ذلك من رواية الضحاك عن إبن عباس.
ويذكر إبن كثير أن الله تعالي أخبر أنه خالق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوي علي العرش....، وقد أورد إبن كثير الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه والنسائي من غير وجه عن أبي جريح المكي عن عطاء عن أبي هريرة والذي ينص علي " أن رسول الله صلي الله عليه وسلم " أخذ بيد أبي هريرة وقال إن الله خلق السموات والأرض وما بينما في ستة أيام ثم استوي علي العرش في اليوم السابع فخلق الثرية يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلقه من أدم الارض أحمرها وأسودها وطيبها وخبثها من أجل ذلك جعل الله من بني أدم الطيب والخبيث " هكذا أورد هذا الحديث إسناداً ومتناً [٢].
وهذا الحديث مردود بمخالفة متنه لنص كتاب الله تعالي وقد علق علي ذلك ابن كثير بقوله: هذا الحديث قد علله البخاري في كتاب التاريخ الكبير (٤١٣، ٤١٤) فقال وقال بعضهم عن أبو هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً وهو أصلح وكذا علله غير واحد من الحافظ.
وجاء في تفسير المنار للشيخ رشيد رضا أن هذه الأيام الستة هي من أيام الله التي يتحدد اليوم منها بعمل من أعماله يكون فيه، فإن اليوم في اللغة هو الزمن الذي يمتاز بما يحصل فيه من غيره كامتياز أيامنا بما يحدها من النور والظلام، وأيام العرب بما كان يقع فيها من الحرب والخصام، وأيام الله التي أمر موسي أن يذكر قومه بها هي أزمنة أنواع نعمة عليهم. وقد قال تعالي: " وَإِنَّ

(٤) تفسير القرآن العظيم / لأبن كثير / جزء ٢ / ص ٢٢.، نظرية التطور عند مفكر الإسلام / دراسة مقارنة / د / محفوظ علي عزام / ص٥١، ٥٦/ ط٢ / ١٤٠٦ هـ – ١٩٩٦م، في المذاهب المعاصرة / د / أحمد عبده حموده الجمل / ص ٢٠٢ وما بعدها.
(١) تفسير إبن كثير / جزء ٢ / ص٢٢..

يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" [١]..... ووصف يوم القيامة بقوله: " تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" [٢]. ولا يعقل أن تكون هذه الأيام الستة من أيام أرضنا، التي يحد ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من الساعات المعروفة عندنا، فإن هذه الأيام إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض فكيف يكون أصل خلقها في أيام منها[٣].

وقد وصف تعالي خلقها وخلق السماء في سورة (السجدة – فصلت) بما يدل علي هذه الأيام فقال:

" قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ. ثم ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " [٤].

ووصف أصل تكوينها وحال ما دتهما فى سورة الأنبياء بقوله " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ "[٥].

فيؤخذ من هذه الآيات مسائل:

(١) أن المادة التى خلقت منها السموات والأرض كانتا دخانا أى مثل الدخان كما قال الراغب فى مفردات القرآن، وفسر الجلال الدخان بالبخار المرتفع، وذهب البيضاوى إلى أنه جوهر ظلمانى قال:ولعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التى ركبت منها.

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٧).
(٣) سورة المعارج آية رقم (٤).
(٤) تفسير المنار / جزء ٨ / ص ٣٩٦ وما بعدها.
(٥) سورة فصلت من آية (٩ – ١٢).
(٦) سورة الأنبياء آية (٣٠).

(٢) أن هذه المادة الدخانية كانت واحدة ثم فتق الله رتقها أى فصل بعضها من بعض فخلق منها هذه الأرض والسموات السبع العلا.

(٣)أن خلق الأرض كان فى يومين، وتكون اليابسة والجبال الرواسى فيها ومصادر القوت وهى أنواع النبات والحيوان فى يومين آخرين تتمة أربعة أيام.

(٤) أن جميع الأحياء النباتية والحيوانية خلق من الماء.

فيعلم من هذا أن اليوم الأول من أيام خلق الأرض هو الزمن الذى كانت فيه كالدخان حين فتقت من رتق المادة العامة التى كانت فيه مائية بعد أن كانت بخارية أو دخانية، وإن اليوم الثانى هو الزمن الذى كانت فيه مائية بعد أن كانت بخارية أو دخانية،وإن اليوم الثالث هوالزمن الذى تكونت فيه اليابسة ونتأت منها الرواسى فتماسكت بها، وأن اليوم الرابع هو الزمن الذى ظهرت فيه أجناس الأحياء من الماء وهى النبات والحيوان.

فهذه أزمنة لأطوار من الخلق قد تكون متداخلة. أما السماء العامة وهى العالم العلوى بالنسبة إلى أهل الأرض فقد سوى أجرامها من مادتها الدخانية فى يومين أى زمنين كالزمنين اللذين خلق فيهما جرم الأرض.

ويقول الشيخ رشيد رضا: هذا التفصيل الذى يؤخذ من مجموع الآيات يتفق مع المختار عند علماء الكون فى هذا العصر من أن المادة التى خلقت منها الأجرام السماوية وهذه الأرض كانت كالدخان ويسمونها السديم،وكانت مادة واحدة رتقا ثم انفصل بعضها من بعض،ويصورون ذلك تصويرا مستنبطا مما عرفوا من سنن الخلق، إذا صح كان بيانا لما أجمل فى الآيات، وإذا لم يصح كله أو بعضه لم يكن ناقضا لشىء منها، فهم يقولون: إن تلك المادة السديمية كانت مؤلفة من أجزاء دقيقة متحركة، وأنها قد تجمع بعضها وانجذب إلى بعض بمقتضى سنة الجاذبية العامة، فكان منها كرة عظيمة تدور على محور نفسها،وأن شدة الحركة أحدثت فيها اشتعالاً فكانت ضياء أى نوراً ذا حرارة، وهذه الكرة الأولى من عالمنا هى التى نسميها الشمس.

ويقولون أيضاً:إن الكواكب الدرارى التابعة لهذه الشمس فيما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفتقت من رتقها،وانفصلت من جرمها، وصارت تدور على محاورها مثلها.ومنها أرضنا هذه، فقد كانت مشتعلة مثلها.ثم انتقلت من طور

الغازات المشتعلة إلى طور المائية فى زمن طويل بنظام مقدر بكثرة مافيها من العنصرين اللذين يتكون منهما بخار الماء فكانا يرتفعان منهما فى الجو فيبردان فيكونان بخاراً فماءينجذب إليها ثم يتبخر منها حتى غلب عليها طور المائية. ثم تكونت اليابسة فى هذا الماء بتجميع موادها طبقة بعد طبقة، وتولدت فيها المعادن والأحياء الحيوانية والنباتية بسبب حركة أجزاء المادة وتجمع بعضها على بعض بنسب ومقادير مخصوصة وقد ظهر بالبحث والحفر أن بعض طبقات الأرض خالية من آثار الحيوان والنبات جميعاً فعلم أن تكونها كان مثل وجودهما فيها.

فهذه الأقوال وما فصلوها به مما رأوه أقرب النظريات إلى سنن الكون وصفة عناصره البسيطة وحركاتها،وتكون المعادن منها،.....كل ذلك تفصيل لخلق العوالم أطواراًبسنن ثابتة وتقدير منظم لم يكن منه شىء جزافاً، وقد أرشد الكتاب الحكيم إلى هذه الحقائق العامة الثابتة فى نفسها، وإن لم يثبت كل ما قالوه من فروعها ومسائلها بمثل قوله " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "(١).

وقوله " وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا " (٢).....فمن دلائل إعجاز القرآن أنه يبين الحقائق التى لم يكن يعرفها أحد من المخاطبين بها فى زمن تنزيله بعبارة لا يتحيرون فى فهمها والأستفادة منها مجملة، وإن كان فهم ما وراء ها من التفصيل الذى يعلمه ولا يعلمونه يتوقف على ترقى البشر فى العلوم والفنون الخاصة بذلك (٣).

هذا ولقد قام الشيخ رشيد رضا بالرد على ما ورد فى الأخبار والآثار أن هذه الأيام الستة هى من أيام دنيانا واقتصر عليه بعض مفسرينا، وذلك كما وضحناه فى الحديث السابق الذى أخرجه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه، لقد قام الشيخ بالرد قائلاً:

بأن كل ما روي في هذه المسألة من الأخبار والآثار مأخوذ من الإسرائيليات لم يصح فيها حديث مرفوع، وحديث أبي هريرة هذا وهو أقواها مردود بمخالفة متنه

(١) سورة الفمر آية (٤٩).
(٢) سورة الفرقان آية (٢).
(٣) تفسير المنار /الشيخ محمد عبده /ص ٣٩٧ وما بعدها.

لنص كتاب الله وأما سنده فلا يغرنك رواية مسلم له به، فهو قد رواه لغيره عن حجاج بن محمد الأعور المصيص عن إبن جريج وهو قد تغير في آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله، كما في تهذيب التهذيب وغيره [١].

ويذكر الإمام رشيد رضا أيضاً: بأن سرد الآيات التي خلقت فيها السموات والأرض في سفر التكوين يخالف بتفصيله ما قرره علماء الكون مخالفة صريحة تتعاصي علي التأويل، وقد اعترف بذلك العلماء الذين خدموا الدين من أهل الكتاب. ولم يعدوا هذه المخالفة علي كثرة مسائلها طعناً في كون سفر التكوين وحيا كسائر أسفار التوراة، وجزموا بتفسير اليوم بالزمن الطويل وإن

ورد في وصف كل منها: " وكان مساء وكان صباح " وهاك أمثل حل للإشكال عندهم:

قال بوست في قاموس الكتاب المقدس بعد تلخيص الفصلين الأول والثاني من سفر التكوين: وإذا قال أحد إن قصة الخليقة في هذين الإصحاحين لا تطابق في كل شيء علم الهيئة والجيولوجيا أي علم طبقات الأرض، والنبات والحيوان أجبنا:-

أولاً إن الكلام عن الخليقة في هذه الآية ليس كلاماً علمياً.

ثانياً إنه يطابق قواعد العلم الرئيسية مطابقة غريبة لا يسعنا البحث عنها هنا مليا، فقد أجمع العلماء علي أن المادة قبل النور ولازمة لظهور النور، وأن النور المنتشر قد سبق جميع المادة علي هيئة شموس وسيارات، وأن الأجرام السماوية لم تظهر للواقف علي سطح الأرض قبل فصل الأبخرة عن سطحها وتكوين الجلد، وأن كل هذه الأشياء سبقت الحياة النباتية والحيوانية، وأن الإنسان آخر الخليقة الحيوانية.

ويرد عليهم الإمام محمد رشيد رضا بقوله: إن في هذا الإجماع الذي ادعاه أبحاثاً لا حاجة إلي الخوض فيها هنا، ولو أن القرآن هو الذي فصل ذلك التفصيل للخليقة لما رضي منا بوست بمثل هذا التأويل فى الرد على من كانوا ينكرون عليه كما أنكروا علي التوراة. ومن الظاهر الجليل أن سفر

(٤) تفسير المنار / جـ ٨ / ص ٣٩٩ وما بعدها

التكوين موضوع لبيان صفة الخلق بالتفصيل فلا يصح أن يخالف الواقع إذا كان وحياً من الله: وأما القرآن فلم يذكر ذلك إلا لأجل الإستدلال به علي وحدانية الرب واستحقاقه للعبادة وحده (١).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الحديث الذي ينص علي أن الخلق بدأ السبت وانتهي يوم الجمعة بين أنه حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري
وغيره (٢).

ويذكر الإمام ابن تيمية أيضاً: أن الله سبحانه خلق الليل والنهار تبعاً للسماوات والأرض فإن الله إذا أطلع الشمس حصل النهار، وإذا غابت حصل الليل، فالنهار بظهورها والليل بغروبها (٣).

فمن الممكن جداً أن تفسر الستة أيام علي انها ستة مراحل أو ست فترات.

وقد تنبه إلي ذلك الإمام الفخر الرازي فقال " في ستة أيام " إشارة إلي ستة أطوار والذي يدل عليه ويقرره هو أن المراد من الأيام لا يمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة لأن اليوم عبارة في اللغة عن زمان مكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلي الغروب، وقبل خلق السماوات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت (٤).

وعلي هذا فيمكن أن نقول بأن المراد بالأيام،"فترات طويلة " أو "عصور "، وبناء علي ذلك فمن حقنا إذاً أن نقبل، فيما يتعلق بخلق العالم، بقول القرآن ضمناً بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد " ٦ "، ولا شك ان العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التي أدت إلي

(١) تفسير المنار / جـ ٨ / ص ٤٠١.
(٢) مجموع الفتاوي / جـ ١٧ / ص ٢٣٥ / جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.
(٣) نفس المصدر السابق / جـ ٦ / ص ٥٩٧.
(٤) التفسير الكبير / جـ ٢٨ /ص(١٨٣ .١٨٤)..

تشكل العالم هو ستة مراحل، ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة تتضائل إلي جانبها الايام كما نفهمها وتصبح شيئاً تافهاً [١].

إن واحدة من أطول فترات القرآن التي تتناول الخلق تذكر ذلك، واضعه جانباً إلي جنب رواية خاصة بأحداث دنيوية وأخري سموية. أنها الآيات من ٩ إلي ١٢ في سورة فصلت، ٤١ كما قلنا سابقاً.

هذا ومن أن ما جاء في القرآن الكريم عن الخلق لا يوجد بينه تعارض علي حين ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذي نملك اليوم قد أعطي عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية، وكيف لا ندهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النص الاكثر تفصيلية عن رؤاية الخلق في التوراة وقد كتبت بأقلام كهنوت عصر النفي إلي بابل، وقد كان لهؤلاء الكهنة الأهداف التشريعية

التى أشرت إليها آنفاً فاصطنعوا لتلك الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية [٢]. ويذكر موريس بوكاى:أن هذا الاختلاف بين رويـة التوراة والمعطيات القرآنية عن الخلق جدير بالتنويه أمام الاتهامات وكلها عفوية . التى لم توقر على محمد- ﷺ - منذ بدايات الإسلام والتى تقول بأن محمداً- ﷺ - قد نقل روايات التوراة.فيما يتعلق بموضوع الخلق فإن الاتهام لا يتمتع بأى أساس،كيف يمكن لإنسان منذ أربعة عشر قرنا تقريباً،أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة فى ذلك العصر وذلك بأستبعاد أخطاء علمية وبالتصريح بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها فى عصرنا !

هذا فرض لا يمكن الدفاع عنه[٣].

وإذا كانت رواية التوراة اليهودية قد أضافت إلى الرواية الأصلية عدة زخارف خيالية وبعض تفصيلات وهمية فإنه لابد من التأكد على الاختلاف العميق لتصريحات القرآن فى هذا الموضوع إذ أنها خالية تماماً من التفاصيل الوهمية

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة / ص١٧٢.
(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة / ص١٧٢.
(٣) نفس المصدر السابق/ ص١٧٣.

المصاحبة للمعتقدات الموجودة فى قصص الخلق البابلية واليهودية بل إن تصريحات القرآن على العكس مطبوعة بالإيجاز فى القول وبالإتفاق مع المعطيات الحديثة للعلم (١).

فإذا كانت هذه هى صفات مقولات القرآن،ولأنه قد صرح بها من أربعة عشر قرناً، فلا يبدو أن بالإمكان إعطاء هذه المقولات تفسيراً وضعياً. بمعنى أنها حقائق لا يمكن الشك فى مصدرها من الوحى الإلهى(٢).

وبعد أن تحدثنا عن قصة الخلق فى القرآن الكريم بصفة عامة أتعرض للحديث عن خلق الأرض والسماء كل على حده.

أولاً: خلق الأرض:

فى الواقع لقد توزعت الآيات الواردة عن الأرض فى كل القرآن الكريم،بحيث يصعب ترتيبها ولذلك يمكننا أن نرتبها على حسب الترتيب العددى للسور.

قال تعالى" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ "(٣).

قال تعالى" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "(٤).

قال تعالى"وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(٥).

---

(٤) دراسة الكتب المقدسة / موريس بوكاى/ ص١٧٣.
(١) المصدر السابق /ص ١٤٧.
(٢) البقرة /أية/٢٢.
(٣) البقرة/ أية/١٦٤.
(٤) الرعد/ أية / ٣.

قال تعالى" وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ. وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ "(١).

قال تعالى" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى"(٢).

قال تعالى" أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(٣).

قال تعالى" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "(٤).

قال تعالى"وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا"(٥).

وهناك العديد والعديد من الآيات التى وردت فيها ذكر الأرض إكتفينا بما سبق ذكره ولقد وردت روايات بألفاظ مختلفة ومعان متفقة حول خلق الأرض منها ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح جميعاً أن تثور فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الأمواج فصار يضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب الماء حتى أزبد وتراكم الزبد فصار منه حشفة بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد ينمو بقدرة الله تعالى حتى بلغ ما بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الأرض كالكرة الباركة فى الماء. وقال وهب بن منبه:لما خلق الله تعالى الأرض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعاًكما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة مسيرة خمسمائة عام، وهو قوله تعالى "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ

(٥) الحجر ٢١/١٩.
(٦) طه ٥٤/٥٣.
(٧) النمل أية ٦١.
(٨) الملك أية ١٥.
(١) النازعات ٣١/.٣.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"(١).

وقال وهب بن منبه: لما فتق الله تعالى الأرض وجعلها سبعاً كان اسم الطبقة الأولى أديما، والثانية بسيطا، والثالثة ثقيلا،والرابعة بطيحا، والخامسة حينا،والسادسة ماسكة، والسابعة الثرى. وفى الروايات تختلف أسماؤها (٢).

وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن فهى سبعة أيضاً: سماها الله فراشا فقال " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً"،وسماها قراراً فقال "أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا " وسماها رتقا فقال "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا " وسماها بساطا فقال"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا" وسماها مهادا" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا" وسماها ذات الصدع فقال "وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ" يعنى بالنبات، وسماها كفاتاً فقال "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا "(٣).

وقال بعض علماء الهيئة: إن الأرض مبسوطة. وقال آخرون:إنها كالكرة وهى واقفة فى الأفلاك دائرة عليها من جميع جهاتها كالصغار من البيضة وهى موضوعة فى جوف الفلك،وبعدها فى الفلك من جميع الجوانب على التساوى، وسبب وقوفها فى الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط، كما لو وضعت ترابا فى قارورة وأدرتها بقوة فإن التراب يقوم فى الوسط، وأما من قال إن الأرض منسوطة فقال إن البحر المحيط الذى هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بها كما يحيط الخاتم بالاصبع.

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن حول الدنيا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل قاف، ويروى أن الله تعالى لما خلق الأرض صارت واقفة فى الهواء فحركها الريح فاضطربت وماجت فشكت ذلك إلى ربها وقالت: يارب قد ضعفت قوتى واستخفنى الريح وحركنى، فأوحى الله تعالى إليها أنى مؤيدك بالاطواد

(٢) الأنبياء/ أية /٣..

(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور /الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفى /ص١٤ وما بعدها /ط١ /١٩٨٢ م،١٤٠٢ هـ /نشر دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.

(٤) عرائس المجالس/ لأبى إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى /المعروف بالثعلبى ص/١.وما بعدها مكتبة الإيمان بالمنصورة.

وهى الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب. وقال وهب بن منبه أن الجبال خلقت من أمواج البحر (١).

وبعد أن تحدثنا عن اسماء الأرض وطبقاتها ننتقل إلى نقطة أخرى هامة وهى أيهما أسبق هل خلق الأرض أم خلق الدخان وهو المادة الأولى للسموات ؟ وهل حدد القرآن الكريم ترتيباً فى خلق السماوات والأرض ؟

فى الحقيقة إن هذه المسألة قد اختلف فيها العديد من العلماء فهناك من قال بأن الأرض خلقت قبل السماء وهناك من قال عكس ذلك، وكل منهم قد استند إلى دليل يؤيد به رأيه حتى إننا لنجد ورود بعض الأحاديث التى قد وضحت إلى أى مدى قد وصل هذا الخلاف منها ما رواه البخارى وأوضح فيه خلق السماء قبل خلق الأرض مما يوضح أهمية هذه المسألة

حيث جاء فى البخارى قال المنهال عن سعيد بن جبير قال . قال رجل لابن عباس ثم أنى أجد فى القرآن أشياء تختلف علىّ قال فلا أنساب بينهم يؤمئذ ولا يتساءلون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتمون الله حديثا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فى هذه الآيه وقال أَمِ السَّمَاء بَنَاهَاإلى قوله دَحَاهَا فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض فى يومين إلى قوله طائعين فذكر فى هذه خلق الأرض قبل خلق السماء. وقال وكان الله غفوراً رحيما عزيزا سميعاً بصيراً فكأنه كان ثم مضى فقال فلا أنساب بينهم فى النفخة الأولى ثم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم ثم ذلك ولا يتساءلون ثم فى النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فقال المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا.

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور /الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفى /ص١٥ وما بعدها، عرائس المجالس/ للثعلبى / ص٦ وما بعدها.

وخلق الأرض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما فى يومين آخرين فذلك قوله دحاها وقوله خلق الأرض فى يومين فجعلت الأرض وما فيها من شىء فى الأربعة أيام وخلقت السماوات فى يومين وكان الله غفوراً سمى نفسه بذلك قوله أى لم يزل كذلك فإن الله لم ير شيئا إلا أصاب به الذى أراد فلا يختلف عليك القرآن "(١).

وإذا توقفنا مع الآيات القرآنية التى توضح ترتيب كل من السماوات والأرض فى الخلق وأخذنا آراء المفسرين فيها فسوف نتعرف على الحقيقة.

١. قوله تعالى "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "(٢).

٢. قوله تعالى "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ"(٣).

بمعنى تقدير الأرض فى يومين وتقدير الأقوات فى يومين آخرين... ثم استوى إلى السماء فى يومين آخرين ومجموع ذلك ستة أيام .

ويعلق الفخر الرازى . هنا على الآيات السابقة بقوله: قال بعض الملحدة هذه الآيات تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء. وقال فى سورة النازعات " أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا "وهذا يقتضى أن تكون خلق الأرض بعد خلق السماء وذكر العلماء فى الجواب عنه وجوهاً.

أحدها: يجوز أن يكون خلق الأرض قبل خلق السماء إلا أنه ما دحاها حتى خلق السماء لأن التدحية هى البسط ولقائل أن يقول هذا أمر مُشكل من وجهين:

---

(١) صحيح البخارى / جـ ٤ / ص١٨١٥ وما بعدها / نشر ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م. تحقيق د/ مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير اليمامة بيروت.

(٢) البقرة /آية / ٢٩.

(٣) فصلت / ٩، ١٠.

الأول: أن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية وإذا كان خلقها أيضاً لا محالة متأخراً عن خلق السماء.

الثانى: أن قوله تعالى " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " يدل على أن خلق الأرض وخلق كل ما فيها متقدم على خلق السماء لكن خلق الأشياء فى الأرض لا يمكن إلا إذا كانت مدحوة فهذه الآية تقتضى تقدم كونها مدحوة قبل خلق السماء وحينئذ. يتحقق التناقض. والجواب: أن قوله تعالى" وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا " يقتضى تقديم خلق السماء على الأرض ولا يقتضى أن تكون تسوية السماء مقدمة على خلق الأرض، وعلى هذا التقدير يزول التناقض، ولقائل أن يقول: قوله تعالى " " أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا " يقتضى أن يكون خلق السماء وتستويتها مقدم على تدحية الأرض ولكن تدحية الأرض ملازمة لخلق ذات الأرض وحينئذ يعود السؤال،

ثالثها: وهو الجواب الصحيح أن قوله " ثم " ليس للترتيب ههناوإنما هو على جهة تعديد النعم، مثاله قول الرجل لغيره: أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك، ولعل بعض ما أخره فى الذكر قد تقدم فكذا ههنا والله أعلم (١).

ويقول ابن كثير لا نزاع بين العلماء فى أن الأرض خلقت قبل السماء بدليل قوله تعالى " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"(٢).

وذلك لأن الأرض هى كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده السقف

وقوله تعالى "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ.ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي

(١) تفسير الفخر الرازى / للإمام محمد الرازى فخر الدين / جـ ٢ /ص١٧. / ط ١ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م / دار الفكر للطباعة.
(٢) البقرة / ٢٩.

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ "[١].فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء وهذا ما لا أعلم منه إلا ما نقله ابن جريرعن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض وقد توقف فى ذلك[القرطبى] فى تفسيره... [٢]. حيث قال القرطبى فى قوله تعالى تعالى " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[٣].

هذه الآية من المشكلات والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولانفسرها وذهب إليه كثير من الأئمة، وهذا كما روى عن مالك أن رجلاً سأله قومه عن قوله . تعالى .: " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[٤].قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء. وقال بعضهم نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها [٥].

ويجب علينا أن نتوقف كما توقف الإمام القرطبى عن مثل هذه الآيات المشكلات، إذ لا ضرر فى عدم معرفة هل الأرض خلقت أولاً أم السماء، ويكفينا معرفة أنهما من الدلائل على قدرة الخلق سبحانه وتعالى.

وإذا توجهنا إلى رأى موريس بوكاى فى هذه المسألة فنجده يذهب إلى القول بأن القرآن الكريم لا يحدد ترتيباً فى خلق السماوات والأرض حيث نجده يذكر:

أن فى الفقرتين المذكورتين فى القرآن تشير آية فى إحداهما إلى خلق السماوات والأرض (سورة الأعراف [٧] ــ الآية ٥٤) والأخرى إلى خلق الأرض والسماوات (سورة فصلت ٤١ الآيات من ٩ إلى ١٢).

فيقول: لا يبدو إذن أن القرآن يحدد ترتيباً فى خلق السماوات والأرض.

---

(٣) فصلت / ٩/ ١٢.
(٤) تفسير ابن كثير / جـ ٤ /ص٩٣.
(٥) البقرة / آية / ٢٩.
(٦) طه /آية / ٥.
(٧) الجامع لأحكام القرطبى /جـ ١ / ص ٢٥٤.

هناك عدد صغير من الآيات تشير إلى الأرض أولاً، كما هو الحال فى سورة البقرة الآية ٢٩، وسورة طه ٢.، الآية ٤ التى تشير إلى "ممن خلق الأرض والسموات" على العكس من ذلك يوجد عدد أكبر من الآيات يشار فيها إلى السماوات قبل الأرض (سورة الأعراف ٧ الآية ٥٤ وسورة يونس ١. الآية ٣ وسورة هود ١١ الآية ٧، وسورة الفرقان ٢٥ الآية ٥٩، سورة السجدة ٣٢ الآية ٤ وسورة ق ٥. الآية٣٨، وسورة الحديد الآية ٤، وسورة النازعات ٧٩ الآيات من ٢٧ إلى ٣٣،وسورة الشمس ٩١ الآيات من ٥ إلى ١..

الحقيقة باستثناء سورة النازعات ٧٩، ليس فى القرآن أى فقرة تحدد بشكل قاطع أى ترتيب: فحرف العطف " و" هو الذى يربط طرفى الجملة، أو كلمة "ثم " التى رأيناها فى الفقرة المذكورة أعلاه والتى قد تشير إلى التوالى أوإلى مجرد وضع عنصر بجانب آخر.

وقد بدا لى أن هناك فقرة واحدة فى القرآن تقرر بشكل واضح وجود ترتيب فى أحداث الخلق ونعنى بذلك الآيات من ٢٧ إلى ٣٣ من سورة النازعات ٧٩:

" أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ "(١).

إن وصف نعم الله الدنيوية على الناس ذلك الذى يعبر عنه القرآن، فى لغة تناسب مزارعاً أو بدوياً من شبه الجزيرة العربية، مسبوق بدعوة للتأمل فى خلق السماء. ولكن المرحلة التى مد فيها الله الأرض وأخصبها تأتى بالتحديد زمنياً بعد إنجاز عملية توالى الليل والنهار.

المذكور هنا إذن هو مجموعتان من الظاهرات جزء منها أرضى والآخر سماوى، وقد حدث كلاهما فى اتصال مع الآخر. وبالتالى فذكر هاتين المجموعتين من الظاهرات يعنى أن الأرض كانت بالضرورة موجودة قبل أن تمدّ، وعليه فقد كانت موجودة حين بنى الله السماوات.

(١)النازعات / ٢٧/ ٣٣.

وينتج من هذا فكرة المصاحبة الزمنية لنمو كل من السماوات والأرض بشكل تتداخل فيها الظاهرتان. وبناء عليه فلا يجب أن نرى أى دلالة خاصة فى إشارة النص القرآنى إلى خلق الأرض قبل السماوات أو خلق السماوات قبل الأرض. فمواضع الكلمات لاتبين وجود ترتيب تحقق الخلق فى إطاره، إلا أن تكون تفصيلات آخرى معطاة (١).

ثانياً : خلق السماء:

إذا توقفنا مع السماء وتأملنا ما ورد فيها من آيات فسوف نجدها عديدة منها قوله تعالى " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ "(٢).

جاء فى الأخبار المشهورة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة مثل السموات والأرض السبع ثم نظر إليها نظرة هيبة فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الأرض ومن الدخان السماء.

ثم قصد إلى السماء ففتقها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سماوات قال تعالى " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"(٣).

هذه الآية الكريمة توضح للجاحدون لإلهيته سبحانه العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أى كان الجميع متصلاً بعضه ببعض مثلاصق متراكم بعضه فوق بعض فى إبتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعاً وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وأنبتت الأرض (٤).

---

(١) دراسة الكتب المقدسة / موريس بوكاى / ص ١٦١ وما بعدها.
(٢) فصلت / أية /١١.
(٣) الأنبياء / أية /٣٠.
(٤) تفسير ابن كثير / جـ ٣ / ص ١٧٨.

ويعلق هنا موريس بوكاى بقوله: يجب الالتفات إلى الدعوى القائلة بوجود كتلة غازية ذات جزئيات. فكذلك يجب تفسير كلمة [دخان] إذ يتكون الدخان عموماً من قوام غازى حيث تعلق به بشكل أكثر أو أقل ثبوتاً جزئيات دقيقة قد تنتهى إلى حالات المواد الصلبة أو حتى السائلة مع درجة فى الحرارة قد تقل أو تكثر. ويجب الإشارة أيضاً إلى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التى كانت عناصرها فى البداية ملتحمة " يقول القرآن الرتق " ولنحدد جيداً أن "فتق " هو فعل القطع أو فك اللحام أو الفصل، وأن "رتق " فعل اللحام ووصل العناصر بهدف تكوين كل.

هذا المفهوم فى تفصيل الكل إلى أجزاء يتحدد بشكل دقيق فى فقرات أخرى من القرآن، وذلك بذكر عوالم متعددة. إن الآية الأولى من أول سورة فى القرآن بعد " بسم الله الرحمن الرحيم [هى] " الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ".

ويتكرر تعبير[العالمين] عشرات المرات فى القرآن. وكذلك السماوات فهى تذكر بإعتبارها متعددة وليس ذلك فقط فى صيغة الجمع بل تذكر أيضاً مع ترقيم رمزى وذلك بالاستعانة بالعدد "٧ "... (١).

وفى القرآن يعود الرقم "٧ " على السماوات بمعناها الصرف سبع مرات. كما يشير الرقم واحده بشكل ضمنى إلى السموات كما يشير مرة واحدة إلى طرق السماء السبعة.

وهناك العديد من الآيات التى أجمع عليها مفسرو القرآن على أن الرقم ٧ يشير إلى تعدد دون تحديد آخر منها: ما جاء فى قوله تعالى " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "(٢). وقوله تعالى "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ " (٣).

وقال تعالى " وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا" (٤).

---

(١) دراسة الكتب المقدسة / ص ١٦٣ وما بعدها.
(٢) البقرة /أية /٢٩.
(٣) الملك/أية /٣.
(٤) النبأ /١٢،١٣.

وهناك غير ذلك كثير من الآيات [١].

السماوات إذن متعددة الحديث.

ويعلق الثعلبى بقوله: قال ابن عباس رحمه الله تعالى . خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية، والثانية بالثالثة، وكذلك إلى السابعة، والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى " اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى " [٢]. وعمادها من فوقها.

وعن أبى هريرة . ﷺ ـ قال: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ على أصحابه وهم يتفكرون فقال: فبم أنتم تتفكرون ؟ قالوا: نتفكر فى الخالق فقال لهم: تفكروا فى الخلق فإنه لا يحيط به الفكرة، تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعاً والأرضيين سبعاً، وتحت كل سماء خمسمائة عام، ومابين كل سماءين خمسمائة عام، وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه [٣].

والحقيقة إن إكثار ذكر الله تعالى كما رأينا سابقاً . أمر السماوات والأرض يدل على عظم شأنهما،وعلى أن له سبحانه وتعالى فيهما أسراراً عظيمة، وحكماً بالغة لا يصل إليها أفهام الخلق ولا عقولهم.

والحقيقة أن السماء لها فضائل عدة منها: أن الله تعالى زينها بسبعة أشياء

* بالمصابيح " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ "
* وبالقمر "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا "
* وبالشمس "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا".
* وبالعرش " قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "
* وبالكرسى " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ "
* وباللوح " فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ "
* وبالقلم " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "

---

(٥) حيث ذكر لفظ [السماوات] فى القرآن الكريم ١٨٥ مرة.
(٦) الرعد /أية /٢.
(٧) قصص الأنبياء / للثعلبى / ص ١٤ وما بعدها.

فهذه سبعة: ثلاثة منها ظاهرة، وأربعة خفية، ثبتت بالدلائل السمعية من الآيات والأخبار. ومنها ؛ أنه تعالى سمى السموات بأسماء تدل على عظم شأنها: سماء، وسقفا محفوظا، وسبعاً طباقاً، وسبعاً شداداً.

وذكر تعالى عاقبة امرها فقال: " وإذا السماء فرجت، وإذا السماءكشطت، يوم نطوى السماء، يوم تكون السماء كالمهل، يوم تمور السماء موراً، فكانت وردة كالدهان ".....

ومنها: أنه تعالى جعل السماء قبلة الدعاء: فالأيدى ترفع إليها، والوجوه تتوجه نحوها، وهى منزل الأنوار ومحل الصفاء والأضواء والطهارة والعصمة عن الخلل والفساد...

ومنها: التفكر فى لون السماء وما فيه من صواب التدبير، فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية له، حتى أن الأطباء يأمرون من أصابه وجع العين بالنظر إلى الزراقة، فانظر كيف جعل الله تعالى أديم السماء ملوناً بهذا اللون الأزرق،لتنتفع به الأبصار الناظرة إليها، فهو سبحانه وتعالى جعل لونها أنفع الألوان، وهو المستنير، وشكلها أفضل الأشكال، وهو المستدير ولهذا قال تعالى " أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ "[1] يعنى ما فيها من فصول، ولو كانت سقفاً غير محيط بالأرض لكانت الفروج حاصلة "[2].

وأيضا من فضائل السماء وفضائل ما فيها، الشمس والقمر والنجوم، فإذاتوقفنا لحظات مع الشمس مثلاً نتفكر فى طلوعها وغروبها، فلولا ذلك لبطل أمرالعالم كله، فكيف كان الناس يسعون فى معايشهم، ثم المنفعة فى طلوع الشمس ظاهرة، ولكن تأمل النفع فى غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولاقرار مع احتياجهم إلى الهدوء والقرار لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ

(١) ق /أية /٦.

(٢) تفسير الفخر الرازى / جـ ٢ / ص ١١٦ وما بعدها / ط١ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار الفكر للطباعة.

الغذاء إلى الأعضاء على ما قال تعالى " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" (١).

وأيضاً فلولا الغروب لكان الحرص يحملهم على المداومة على العمل على ما قال تعالى " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا" (٢).ولولا الغروب لكانت الأرض تحمى بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان، ويهلك ما عليها من نبات على ما قال تعالى" أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً" (٣).

فصارت الشمس بحكمة الحق سبحانه وتعالى تطلع فى وقت وتغيب فى وقت ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تصادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم هذا كله فى طلوع الشمس وغروبها.... وهناك العديد من الفضائل للشمس والقمر وغيرها وقد اكتفيت بالشمس كمثال (٤).

تعقيب

واعقب قائلة كم هى مدى دقة التعبير القرآنى عن الحقائق الكونية، خاصة وأن العلم الحديث أثبت أن النصوص التى تحدثت عن خلق الكون فى الكتب المقدسة ـ التى سبقت الإسلام ـ لم تكن دقيقة، بل إن بعضها أصبح ـ بعد ظهور النظرات الحديثة عن خلق الكون ـ لغواً لا معنى له، وقد أوضحنا ذلك سابقاً عند الحديث عن كلمة [يوم] كما يفهم من التوراة، بخلاف الإسلام الذى عالج مثل هذه القضايا دون أن يقع فى الخطأ أو اللغو، بل استطاع الإسلام أن يخاطب الناس فى تلك العصور بحديث عن خلق الكون، دون أن يصطدم بعجزهم عن فهم النظريات الكونية، التى لم يكن لهم بها علم، اللهم الإ شذرات

(١) يونس /أية /٦٧.
(٢)النبأ / ١٠،١١.
(٣) الفرقان /أية /٤٥.
(٤) تفسير الفخر الرازى / جـ ٢ / ص ١١٦ وما بعدها / ط١ / ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م دار الفكر للطباعة / ص ١١٧ بتصرف يسير.

قليلة، انحدرت إليهم من الكتب السابقة، التى كانت معظمها أساطير، لا تعبر عن حقيقة الوجود تعبيراً صحيحاً.

عبر القرآن الكريم . كما يقول أ. د / محمد شامة . عن خلق الكون بأسلوب تفهمه كل الطبقات الثقافية، وترى فيه بغيتها، وأطمئنانها النفسي، ومع ذلك لا يتصادم مفهومه مع ما تتواصل إليه أحدث الأبحاث والتجارب العلمية.... وهذا إنما هو دليل على أن منبعه عقل جبار، يحيط بالأزل وبالأبد علما، وهو يعلم سائر الحقائق فى صورها النهائية والحقيقية، ولا يخضع علمه ومعرفته لحواجز الزمان والمكان والأحوال، ولو كان هذا الكلام صادراعن بشر محدود النظر والعلم، لكان الزمان قد أبطله منذ عصور عديدة، كما يحدث لكل كلام إنسانى فى مستقبله [1].

(١) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٠٣ وما بعدها / بتصرف يسير / ط ـ ١٩٨٨ م.

المبحث الثالث: قضية اليوم السابع فى سفر التكوين والرد عليها:.

من الأشياء التى قررها سفر التكوين أيضاً أثناء الحديث عن خلق العالم، هى أن الله تعالى خلق العالم فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع ويعتقد اليهود أنه هو يوم السبت وذلك اللفظ العبرانى والذى يعنى الراحة أو الكف عن العمل كما أطلقته الشريعة اليهودية، إذ جاء فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين:" وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل،وبارك الله اليوم السابع وقدسه،لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً "(١).

وقد قضت الوصايا العشر وغيرها من نصوص الشريعة اليهودية بتقديس يوم السبت والإمتناع فيه عن أى عمل من أعمال الحياة اليومية وتخصيصه لعبادة الله وتقديم الذبائح والقرابين إليه، لأنه مظهر من مظاهر الشكر والولاء لله الخالق، كما أنه تذكار لعتق اليهود من عبودية المصريين،...

(١) تكوين ٢: ٢ .٣.

وفى سفر الخروج " ٣١ / ١٢ ـ ١٧ " قالوا "كلم الرب موسى قائلاً وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلاً سبوتى تحفظونها لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم. فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم... ستة أيام يصنع عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب.. فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهداً أبديا. وهو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد. لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس ".

وجاء فى سفر التثنية: " احفظ يوم السبت لتقديسه كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. وأما اليوم فسبت الرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونز يلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك. واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت "(١).

ومما يدل على مدى تقديس السبت وأهمية الوصية بعدم القيام فيه بأى عمل، أن الذى يخالف هذه الوصية تقضى عليه الشريعة بالموت، إذ جاء فى سفر الخروج " فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلاً... "(٢).

وقد تطرف اليهود فى تطبيق وصية حفظ السبت تطبيقاً حرفياً متزمتا، إذ اعتبرها أهم الوصايا العشر، قائلين أن الله حفظها فى السماء قبل أن يخلق العلم

، وأن الله ما اختار اليهود شعباً له إلا ليحفظوا السبت "(٣).

وإذا نظرنا فى النصوص السابقة الذكر نجد أنها تعنى أن الله يصيبه الكلال والتعب ويحتاج إلى راحة . كما يعنى أيضاً تعطيل قدرة الله تعالى فى بعض

(٢) التثنية / العدد ٥: ١٢ ـ ١٥.
(٣) الخروج / ٣١: ١٤، ١٥.
(٤) المجتمع اليهودى / لزكى شنوده /ص٢٥٨ وما بعدها /نشر مكتبة الخانجى ـ القاهرة.

الأوقات . والله سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك، لأن هذه الأمور إنما هى من صفات المخلوقات، والله عز وجل منزه عن مشابهة المخلوقات (١).

والنص كما هو معروف هو ختام الرواية الأولى " الكهنوتية " عن الخلق، ولعل النص الأصلى للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام لم يشتمل على الإشارة إلى اليوم السابع وربما اقتصر على بيان أن الخلق تم فى ستة أيام كما ذكر القرآن الكريم دونما تحديد لبداية اليوم ونهايته،"إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ "(٢).

ومعنى هذا أن المراد بالاستواء على العرش هو تدبير شئون العالم يقوم الملك الجالس على عرشه بتدبير شئون مملكته . ولله المثل الأعلى . فالاستواء على العرش مجاز عن السلطة المطلقة على هذا العالم وتدبير شئونه.

ولعل النص كان قد ورد فى "التوراة " . قبل أن يدخلها التحريف بهذه الصورة التى ورد عليها فى القرآن، ففهم بعض أحبار اليهود أن المراد بالاستواء على العرش هو الأستراحة من عناء العمل (٣).

وإذا نظرنا للرواية الثانية للخلق وهى اليهودية وهى أقدم عهداً من الكهنوتية لا تشير إلى اليوم السابع ولا إلى راحة الرب المزعومة فيه لكن الذى حدث أن الرب فرض عليهم التزام الراحة فى يوم السبت كنوع من الاختبار لهم ونهاهم عن العمل فيه ولعل ما ذكره الطبرى يؤكد هذا الكلام حيث جاء فى تفسير قوله تعالى "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ "(٤).

---

(١) مدخل لدراسة الأديان / د / صفوت حامد مبارك جـ١ / ص٩٥ وما بعدها. ط ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م.

(٢) يونس أية / ٣.

(٣) مدخل لدراسة الأديان / د / صفوت حامد مبارك جـ١ / ص٩٥ وما بعدها،تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د/ محمد فتحى الزغبى /ص٥٣٢ وما بعدها.

(٤) البقرة أية /٦٥.

أن الله تعالى قد أباح لبنى إسرائيل العمل فى ستة أيام من الأسبوع، وحظر عليهم العمل فى يوم واحد وهو يوم السبت، وفرض عليهم فى هذا اليوم الاجتهاد فى الأعمال الدينية إحياء للشعور الدينى فى قلوبهم، وإضعافاً لشرههم فى جمع الحطام وحبهم للدنيا، فتجاوز طائفة منهم حدود الله فى السبت واعتدوها،فكان جزاؤهم على ذلك جزاء من لم يُرض نفسه بآداب الدين،وجزاء مثله هو الخروج من محيط الكمال الإنسانى والرتوع فى مراتع البهيمية، كالقرد فى نزوله، والخنزير فى شهواته، وقد سجل الله تعالى عليهم ذلك بحكم سنة الفطرة، والنواميس التى أقام بها نظام الخليقة، وذلك قوله عز وجل: " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ "(١).

هذا ولقد حاول الكهنة . بعد ذلك أن يثبتوا هذا التشريع وأن يدعموا هذا التقديس ففسروا أيام الخلق الستة على أنها ذات صباح ومساء وكأنها أيام من أيامنا العادية ثم قاسوا تلك الأيام على أيام الأسبوع السبعة، وما كان منهم إلا أن ذكروا أن الله سبحانه وتعالى تعب فى الأيام الستة واستراح فى اليوم السابع فعلى المؤمنين أن يقتدوا به وأن يلتزموا بما فعل (٢).

هذا ولقد ذكر د/حسن ظاظا أثناء حديثه عن أهم مواسم وأعياد اليهود أن السبت هو اليوم الأسبوعى عندهم،ومدته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت. وأهم شعائره الكف عن أى عمل، فبذلك جاء الأمر صريحاً فى الوصايا العشر، المنسوبة إلى موسى فى التوراة. وهذه الوصايا العشر تكررت بألفاظها تقريباً فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج. والإصحاح الخامس من سفر التثنية. ومن المواضع التى اختلفت فيها الروايتان الموضع الذى تشرح فيه حكمة تعطيل العمل يوم السبت، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن الله بنفسه استراح فى هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة، فهى تقول: " واليوم السابع سبت للرب إلهك، لا تصنع فيه عملاً لك،أنت وابنك وبنتك وبهيمتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك، لأن الرب فى ستة أيام خلق

(١) تفسير المنار /جـ١ /ص٢٨٤.
(٢) فى رحاب القرآن د/ محمد شامه ص١٠٤،و دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاى/ص.٤٤

السموات والأرض والبحر، وجميع ما فيها، وفى اليوم السابع استراح ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه "(١).

وفى رواية سفر التثنية يبدو الحكمة فى تقديس يوم السبت هى بكل بساطة تمكين

الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء. ولا يرتبط ذلك هنا بأن الله استراح فى اليوم السابع. بل ربما كان المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتحرر من السخرة والعبودية، عندما كان قوم موسى ما يزالون فى مصر عبيداً لفرعون يعملون بأمر هولا يحق لهم أن يستريحوا يوماً واحداً فى الأسبوع، فهذه الرواية تقول: " احفظ يوم السبت وقدسه كما أمرك الرب إلهك، لا تعمل فيه عملاً أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك، لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك بأن تحفظ يوم السبت"(2).

وتفنن فقهاء اليهود فى تفسير الكف عن العمل يوم السبت، فحرموا فيه كل ما من شأنه أن يشعر بالسعى فى الرزق أو الأنشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج بذل جهد فى تحقيق هدف معين.. حتى الحرب الهجومية تحرم يوم السبت، لكن إذا أعلن الكاهن اليهودى أن الفكر الإسرائيلى، أو أن أهل هذه الملة، فى خطر اعتبرت الحرب دفاعية وجاز دورانها يوم السبت ولذلك نلاحظ، قادة إسرائيل فى الوقت الحاضر حريصون جداً على إظهار حروبهم أمام الرأى العام الإسرائيلى والعلمى بشكل حروب دفاعية، حتى يتخاصموا من مشاكل السبت وغيرها من مشاكل الحرب الهجومية، لضرورة الحصول، فى حالة التعبئة للحرب الهجومية، على إذن باستنفار من يصلحون للقتال من المجلس الدينى الأعلى. وهذا هو سرّ تسمية الجيش " بجيش (الدفاع) الإسرائيلى " (٣).

---

(٣) سفر الخروج /٢٠:٨: ١١.

(٤) سفر التثنية / ٥: ١٢ ـ ١٥.

(١) الفكر الدينى اليهودى أطواره ومذاهبه د/حسن ظاظا /ص ١٦٨ وما بعدها /ط ٤ /١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م / نشر دار القلم دمشق ـ الدار الشامية بيروت.

وعلى ذلك فإن التعليل الذى اخترعه كاتب سفر الخروج فى أن الله سبحانه استراح فهو قدوة للإنسان أخذ به كاتب سفر التكوين حينما عرض لقصة الخلق.

هذا ويعلق موريس بوكاى على عبارة " استراح " بقوله:تلك طريقة مدير الكتاب المقدس فى ترجمة الكلمة العبرية "شباط " والتى تعنى ذلك على وجه الدقة، ومن هنا جاء يوم الراحة عند اليهود " يوم السبت ".

ويقول موريس بوكاى أيضاً: واضح أن هذه " الراحة " التى يفترض أن الله قد أخذها بعد أن عمل ستة أيام، هى أسطورة ولكن لها تعليل. إذ لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتى من النص الذى يسمى بالكهنوتى كتبه الكهنة أو الكتبة وهم الوريثون الروحيون لحزقيال نبى النفى ببابل فى القرن السادس قبل الميلاد. ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتى الخلق اليهودية والأهيمية وأعادوا صياغتهما على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التى كتب الأب ديفو " عنها قائلاً : إن طابعها " التشريعى " كان جوهرياً."على حين لا يشير النص اليهودى، الذى يسبق النص الكنهوتى بعده قرون، إلى راحة الله الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع، يدخلها الكاتب الكهنوتى فى روايته. إنه يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع، وهو يضع محور الرواية على راحة السبت التى يعللها أمام المؤمنين مؤكداً على هذا بقوله: إن الله هو أول من احترمها. وابتدأ من هذه الضرورة العملية انتقاد رواية الخلق بمنطق دينى ظاهر وإن كان هذا الشكل تسمح معطيات العلم بوصفه بالوهم [1].

والحقيقة حينما نرد على هذه الدعوى الباطلة والتى تنص على أن الرب قد استراح فى اليوم السابع بعد أن لحقه التعب، نقول: نحن معشر المسلمين نعتقد أن الله تعالى " قد أنزل التوراة " على موسى عليه السلام .كما ورد فى القرآن الكريم وأن بعض الأحبار يحرفون الكلم عن مواضعه

(٢) دراسة الكتب المقدس / لموريس بوكاى /ص ٤٤،٤٥

قال تعالى " مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً " (١).

قال تعالى أيضاً " يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (٢).

ولما كان الفرق الوحيد بين نص " التوراة " الموجودة بين أيدينا ونص القرآن فيما يتعلق بخلق العالم هو عبارة " ثم استراح " فى اليوم السابع " فى التوراة . وفى مقابلها من القرآن الكريم عبارة " ثم استوى على العرش يدبر الأمر " ولما كانت " الاستراحة " مستحيلة فى حق الله تعالى . وإلا لأشبه مخلوفاته رد القرآن الكريم الرد الصريح الذى يكذبهم فقال تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ "(٣).

وكانت عبارة القرآن هى التى تتفق مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث . حكمنا بأن عبارة التوراة كانت فى الأصل مطابقة للعبارة القرآنية، ثم دخلها التحريف أو سوء الفهم على الأقل(٤).

وجاء فى تفسير ابن كثير عن قتادة قال فى تفسير قوله تعالى " وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ "أن اليهود . عليهم لعائن الله قالوا: خلق الله السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوا وتأولوه " وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ " أى من إعياء ولا تعب ولا نصب (٥).

(١)النساء /أية / ٤٦.
(٢)المائدة /أية / ١٣.
(٣) ق /أية / ٨ ٣.
(٤) مدخل لدراسة الأديان /د /صفوت حامد مبارك/ص٩٧.
(٥)تفسير ابن كثير/جـ٤ /ص٢٢٩.

وجاء فى تفسير الطبرى والسيوطى(١):

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن أبى سنأن، عن أبى بكر، قال: جاءت اليهود إلى النبى . ﷺ . فقالوا:يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة ؟فقال: " خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس إلا ثلاث ساعات، يعنى من يوم الجمعة، وخلق فى أول الثلاث الساعات الآجال، وفى الثانية الآفة، وفى الثالثة آدم، قالوا: صدقت إن أتممت، فعرف النبى . ﷺ . ما يريدون،فغضب، فأنزل الله " وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ. فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ "(٢).

كما رد القرآن الكريم على اليهود أيضاً بقوله تعالى" أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(٣).

وكما قال عز وجل" لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"(٤).

ولقد ذكر الامام الرازى أن المراد من هذا الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت.

يقول الامام الرازى/ أن قولهم هذا تحريف منهم للتوراة ذلك لأن الأحد والإثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض،فلو كان خلق السماوات ابتدىء يوم الأحد

---

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن /جـ٢٦ /ص١١١ـ ١١٢ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ المنثور فى التفسير بالمأثور م، الدر / للسيوطى ـ م٧ / ص٦٠٩ ـ ٦١. دار الفكر بيروت.

(١) ق /٣٨ / ٣٩.

(٢) الأحقاف /أية / ٣٣.

(٣) غافر /أية / ٥٧.

لكان الزمان متحقق قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام أخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة [١].

ويقول الشيخ علاء الدين الباجى "كيف يحسن أن يقال: وكمال الله فى اليوم السادس جميع أعماله، واستراح فى اليوم السابع " ؟

فإن الاستراحة انما تطلق على من يناله التعب، فإن من أفعاله بالأمر التكوينى يقول للشىء: "كن " فيكون، فذلك فى حقه ممتنع، والسؤال بعينه وارد على قوله بعده:" وقدسه. من أجل أنه فيه استراح "[٢].

كما يعلق د/ محمد فتحى الزغبى قائلاً إن زعم كاتب الرواية الأولى بأن الرب قد استراح لا يتفق مع تنزيه الله وجلاله، وبذلك فإن من المقطوع به أن هذا مما تأثر به من الديانات القديمة من منطق التصورات . الوثنية لله حيث يرونه كالبشر يأكل ويشرب، يستريح ويتعب ولم يكن بعيداً عن متناول الكاتب الكهنوتى وذلك لأن التراث البابلى كان منشوراً أمامه يأخذ منه ما يروقه وما يتفق مع ميوله الوثنية " [٣].

ولا نملك فى النهاية إلا أن نقول كما قال موريس بوكاى: إن هذه الاستراحة المزعومة إسطورة.

---

(٤) التفسير الكبير /جـ٤/ص ١٨٤.

(٥) على التوراة / ص ٢٧- ٢٨.

(٦) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية / ص ٥٣٦.

المبحث الرابع
عالم السماء بين سفر التكوين والقرآن الكريم
"الملائكة"

مفهوم الملائكة:ـ

الملائكة أو الملأ الأعلى، أجسام لطيفة نورانية، تقدر على التشكل بأشكال مختلفة حسنة، وأنه ذوات باقية، مبرأة عن الذبول والانحلال والضغف والاختلال، ومسكنها السموات، ومنهم من يسكن الأرض، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر، لمعارضة قوله تعالى "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ" (١).

وهم من عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظور التى لا يعلم حقيقتها إلا الله(٢) .

وهم مطهرون من الشبهات الحيوانية، ومبرءون من الميول النفسية، ومنزهون من الآثام والخطايا.

والملائكة ليسوا كالبشر يأكلون ويشربون وينامون . كما زعمت اليهود . وانما هم عالم آخر قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية ولهم قدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية فقد جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلاً فى صورة بشرية.

قال تعالى " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا " (٣).

ودخلت جماعة منهم على سيدنا إبراهيم فى صورة آدميين يحملون إليه البشرى، وظنهم ضيوفاً فقدم إليهم الطعام وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى:.

---

(١) الزخرف /أية /١٩.

(٢) القول السديد فى علم التوحيد /أ /محمود أبو دقيقة /جـ٣ / ص١٤٤ /تحقيق أ / د/ عوض الله حجازى ط١ / ١٩٩٥ م.

(٣) مريم /١٦ ـ ١٧.

"وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ. قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ.قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ " (١).

وهذا ما يوضح الفرق بين ما يقوله القرآن الكريم الذى هو كلام الله تعالى، وما قالته التوراة كما وضحنا سابقاً ، والتى هى قد وقع بها التحريف.

أولاً:الملائكة فى سفر التكوين:ـ

فى الحقيقة لا توجد ديانة سماوية منزلة من عند الله تعالى تخلو من الحديث عن الإيمان بالملائكة، فالله تعالى قد أوضح لعباده كل الأمور المتعلقة بالإيمان، لكن اليهود ضيعوا توراتهم الأصلية التى جاء بها موسى – ﷺ – وصنعوا لأنفسهم توراة ضمنوها أهدافهم ومبادئهم التى ارتضوها ومزاعمهم التى آمنوا بها.

هذا وقد جاء ذكر الملائكة فى الكتب السماوية عن الإسلام كثيراً نذكر بعضها:

جاء فى سفر التكوين "فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية " (٢).

"فقال لها ملاك الرب ارجعنى إلى مولاتك "(٣).

" وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك "(٤).

وجاء أيضاً فى سفر التكوين " الملا كان إلى سدوم " (٥).

"ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطاً"(٦).

"فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء "(١).

---

(٤) هود /٦٩ـ ٧٣.

(١)تكوين /اصحاح ١٦ /عدد/٧.

(٢)تكوين /اصحاح ١٦ /عدد/٩.

(٣)تكوين /اصحاح ١٦ /عدد/١..

(٤)تكوين /اصحاح ١٩ /عدد/١٠.

(٥)تكوين /اصحاح ١٩ /عدد/١٥.

وهناك العديد والعديد من نصوص العهد القديم قد تناولت ذكر الملائكة.
وأما إذا توقفنا مع نظرة سفر التكوين وتصوره عن الملائكة نجده قد أسار بما يدل على تزوير عقائد الدين، والحديث عن الملائكة بكلام لا يقبله العقل، وهذا أمر منتظر وليس بغريب فالنصوص التى لم تتورع عن وصف " الرب" بما ليس له، لا ينتظر منها ولا هو من سماتها أن تعرض فكرة "الملائكية " عرضاً أمينا يبنى عليه ايمان صحيح.
فمن المسلم به أن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ولا يأكلون ولا يشربون. وقد شاءت إرادة الله أن تكون الملائكة منزهة عن الشهوات الجسدية مفطورة على الطاعة تفعل الخير ولا تجنى شراً قط ولكن التوراة الأمنية تعرض علينا نماذج منهم على غير المعروف عنهم فهم فيها مرة يأكلون ويشربون. ومرة لا يأكلون ولا يشربون. فإذا وضعنا فى الاعتبار وصفها لهم بالأكل والشرب فالتوراة كاذبة خادعة. وإذا وضعنا فى الاعتبار وصفها إياهم بأنهم لا يأكلون ولا يشربون فالتوراة صادقة. ولكنه صدق غير خالص، مادام النص القاضى بأكلهم وشربهم موجوداً فيها، موصوفاً بأنه نص مقدس غير محرف ولا مزور [٢] وتبقى بعد ذلك كله معرة التناقض بين نصوص التوراة، وهى معرة لا يحملها هذا النص وحده ولكنه شائع فى عشرات بل مئات النصوص التوراتية المقدسة ؟ !
ونتوقف هنا مع ما ترويه التوراة عن إبراهيم – عليه السلام – مع الملائكة وذلك حينما نص هذا الكتاب المقدس على تناول الملائكة للطعام والشراب، حيث يقول النص: "وظهر له الرب عند بلوطات ممر "[٣].
وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار،،فرفع عينيه ونظر وإذاثلاثة رجال واقفون لديه، فلما ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال ياسد: إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء

---

(٦)تكوين /اصحاح ٢١ /عدد/١٧.
(١)الإسلام فى موجهة الاستشراق العلمى / د/ عبدالعظيم المطعنى/ص١٩٥ وما بعدها ظ ٢/ ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
(٢)اسم مكان.

وأغسلوا أرجلكم، واتكئوا تحت الشجرة فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون ؛لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا: هكذا نفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة وإلى سارة وقال: أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً أعجنى واصنعى خبز ملة (١).

ثم ركض إبراهيم إلى البقرة، وأخذ عجلاً رخصاً (٢).

وأعطاه للغلام. فأسرع ليعمله...،ووضع هذه الأشياء قدامهم،وإذا كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا "(٣).

يحكى هذا المقطع (المقدس) حسب زعمهم . قصة الملائكة التى جاءت لتبشر إبراهيم – عليه السلام – باسحاق فظن إبراهيم أنهم مسافرون فعزم عليهم بالنزول عليه حتى يقدم لهم طعاماً يسندون نه قلوبهم ؟ ! فوافقته الملائكة وقالوا: نفعل مثلما تكلمت.

فجهز لهم إبراهيم عجلاً وخبزاً ولبناً وزبداً ووضعه قدامهم ؟ ! وإلى هنا لو كانت التوراة قد توقفت لما وجدنا وجهاً واحداً لنقدهم، بل لإسقاطها.

ولكنها عادت فترد ت إلى هاوية سحيقة بكلمة واحدة وهى قولها: "أكلوا " ؟ ! ! نعم تردت التوراة إلى الهاوية السحيقة بإسنادها الأكل إلى الملائكة فهى هنا ليست أمينة فى تصوير الحقيقة لطالبى الإيمان الصحيح.وهى هنا " كاذبة " ؛ لأن الملائكة لا يأكلون ولايشربون (٤).

"وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ"(٥). وفى ذلك يقول الامام ابن حزم الاندلسى رضى الله عنه فى هذه الرواية للتوراة آيات من البلاء شنيعه نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره.

---

(٣) الملّة (بفتح الميم):التراب الحار والرماد أو الجمر يخبز أو يطبخ عليه أوفيه (المعجم الوسيط):٨٨٧.

(٤) الرخيص أو الرّخص /الناعم اللين. المعجم الوسيط / ص٣٣٦.

(٥) سفر تكوين:الإصحاح ١٨/ ١ـ ٨

(٦)الإسلام فى موجهة الاستشراق العلمى / د/ عبدالعظيم المطعنى/ص١٩٦ وما بعدها ط٢/ ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.

(١) الأنبياء /أية / ٨.

فأول ذلك إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة النفر فأسرع ‘إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعيينه بلا كلفة بل هو أشد من التثليث ؛ لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص، وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية فى إثبات التثليث، وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة. وإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم فى ذلك أيضاً فضائح عظيمة، وكذب فاحش من وجوه.

أولها: من المحال والكذب أن يجبر بأن الله تعالى تجلّى له، وإنما تجلّى له ثلاثة من الملائكة.

وثانيها: أنه يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد، وهذا مما يزيد فى ضلال النصارى فى هذا الكلام وهذا أيضاً محال فى الخطاب.

وثالثها: سجوده للملائكة فإن من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله، فهذه كذبة.وإن قالوا بل لله سجد فهذه كذبة ولابد، أو يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون . لابدّ من إحداها، وعادت البلية أشد ما كانت.

ورابعها: خطاب لهم بأنه عبدهم ؛ فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البليه، وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله ان يخاطب إبراهيم – عليه السلام – بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله،مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد.

وخامسها: قوله: " يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم، وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم "فهذه الحالة لئن خاطب يهذا الخطاب الله تعالى فهى التى لاسوى لها ولا بقية بعدها، والتى تملأ الفم، وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب لأن ابراهيم – عليه السلام – أن الملائكة لا تشتد قلوبكم بأكل كسر الجبز. فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة. فإن قالوا: ظنهم ناساً.قلنا كهذاكذب لأن فى أول الخبر يخبر أن الله تجلى له، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر

طريق [1]؟ حاش له من هذا الضلال.

وسادسها: إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسن واللبن، وحاش له أن يكون هذا خبراً عن الله تعالى، لا ولا عن الملائكة، أين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل فى هذه القصة نفسها.

" وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ " [2].

هيهات نور الحق من ظلمات الكذب ! والحمد لله رب العلمين كثيراً. وفيها أيضاً **وجه سابع** ليس كهذه الوجوه فى الشناعة: وهو إقرارهم بأن إبراهيم أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً. والربانيون منهم يحرمون هذا اليوم.

فأقل ما فيه النسخ على أن يكون سلامته من أطم الدواهى، والسلامة والله منهم بعيد [3].

درجات الملائكة عند اليهود:ـ

وبعد أن رأينا كيف تصور اليهود الملائكة ننتقل إلى درجاتهم، وهى عشر عند اليهود وهى:

١. كادوشيم، أو المقدسون الطاهرون؛	٢ . افاميم أو السريعون؛
٣. أورواليم، أو الأقوياء؛	٤ . شاسماليم، أو المتوهجون؛
٥. سيرافيم، أوالشرارات ؛	٦ . مالاخيم، أو المرسل ؛
٧. ألوهيم، الالهيون ؛	٨. بن ألهيم، أو أبناء الله ؛
٩. كيروبيم، أو الملائكة الثيران ؛	١٠ . إبشيم، أو المتحمسون[1].

(٢) خاطر الطريق: عابره.

(١) هود/٦٩ ـ٧..

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل / الإمام ابن حزم الأندلسى /جـ ١ /ص ١٥٦ وما بعدها / دار الكتب العلمية بيروت /ط٢ / ١٤٢. هـ ١٩٩٩ م.

أقسام الملائكة:ـ

حيث جاء أن الملائكة **قسمان:** من لايطرأ عليه الموت وهو الذى خلق فى اليوم الثانى، ومن يطرأ عليه الموت وهو قسمان أيضاً: من يموت بعد مكثه زمناً طويلاً قدر له فيه الحياة بأجله وهو الذى خلق فى اليوم الخامس، ومن يموت فى يوم خلقه بعد أن يرتل لله، ويقرأ التلمود، ويسبح التسابيح وهو الذى خلق من النار، وقد أهلك الله منهم جيشاً جراراً بواسطة إحراقه بطرف إصبعه الخنصر، ويخلق الله كل يوم ماكاً جديداً عند كل كلمة يقولها، فهؤلاء الملائكة يأتون إلى عالم الوجود بسرعة كما يخرجون منه (٢).

ثانياً: الملائكة فى القرآن الكريم :ـ

نأتى بعد ذلك على القرآن الكريم، كتاب الهداية، الذى يبين للناس فيه العقائد الصحيحة، والذى تحدث عن عالم الغيب، لكى يعامنا الايمان بالغيب ولا يقتصر ايماننا على ا لمحسوسات فقط.

وقد مدح الله المؤمنين بالغيب فقال " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" (٣).

أيضاً: حتى لا يفعل الإنسان المعصية لأنه إذا علم أن هناك ملائكة تصاحبه وتسجل عليه كل أقواله وأفعاله فربما استحى فلا يفعل معصية.

وقد ذكر لفظ الملك والملائكة ٨٨ مرة فى ست وثمانين آية من القرآن الكريم (٤)

---

(٣) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير/ ليوتاكسبل / ص ٥ وما بعدها / ترجمة د/ حسلن مخائيل اسحق.

(٤) الكنز المرصود / د / محمد عبدالله الشرقاوى / ص١٨. / نشر مكتبة الوعى الإسلامى.

(١) البقرة /أية / ٣.

(٢) راجع قصص الأنبياء د/عبدالوهاب النجار /ص ٣٢ ـ ٣٣.

وسوف نتناول هنا حديث القرآن الكريم عن وجود الملائكة،ومفهومها، وصفاتها لكى تعرف مدى الفرق الكبير بين كلام الله تعالى، وبين كلام البشر ومدى تخبطهم فى فهم الغيبيات، مثل ما فعلت التوراة بخصوص الملائكة، وكل ما هو سمعى، ولنبدأ أولاً بـ

وجود الملائكة:-لاخلاف بين العقلاء فى أن أشرف أقسام الحسن والكمال للعالم العلوى هو وجود الملائكة فيه. كما أن أشرف أقسام الزينة فى العالم الأسفل، هو وجود الإنسان العاقل فيه [١].

ووجود الملائكة أمر انعقد عليه الاجماع، ودل عليه كتاب الله تعالى، وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه لا سبيل إلى إثبات وجودها بالدليل العقلى، وحينئذ فالدليل الإجماع والكتب المقدسة، والأحاديث المنقولة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمنكر وجود الملائكة كافر.

أما الكتاب فآيات عديد منها قول الله تعالى "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[٢].

وأما السنة: فقد ورد فى الحديث الصحيح عن النبى . ﷺ . أنه قال فى تقسير الايمان "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ".

أصناف الملائكة وأوصافهم كما ذكرت فى القرآن الكريم:

أولاً الأصناف:-

(٣) المطالب العالية فى العلم الإلهى / الامام فخر الدين الرازى / ص ٣٩٥ / دار الكتاب العربى بيروت.

(٤) البقرة /أية /٢٨٥.

فأعلاهم درجة: حملة العرش. كما جاء فى قوله تعالى " وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " (١).

والمرتبة الثانية: الحافون حول العرش كما جاء فى قوله تعالى"وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (٢).

والمرتبة الثالثة: أكابر الملائكة ومنهم جبريل – عليه السلام – وصفاته فى القرآن الكريم كثيرة.

إحداها: إنه صاحب الوحى إلى الأنبياء عليهم السلام قال: الله تعالى "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ" (٣).

وليس كما قالت التوراة سابقاً أنه ملك النار وليس ملك الوحى، فالقرآن كذبهم فى أقوالهم.

وثانيها: إنه تعالى : قدمه فى الذكر على ميكائيل، فقال " مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ" (٤).

والسبب فيه:أن جبريل صاحب الوحى والعلم. وميكائيل صاحب الأغذية والأرزاق الجسمانية. والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية فلا جرم كان جبريل أفضل من ميكائيل.

وثالثها: إنه تعالى جعل جبريل ثانى نفسه. فقال تعالى " إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِير" (٥).

ورابعها: إنه سماه "روح القدس " فقال تعالى " إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ " (٦).

---

(١) الحاقة / أية /١٧.
(٢) الزمر / أية /٧٥.
(٣) الشعراء / ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٤) البقرة / أية/ ٩٨.
(٥) التحريم / أية/ ٤.
(٦) االمائدة / أية/ ١١..

وخامسها: إنه ينصر أولياء الله، ويقهر أعداء الله. مثل قصة " بدر " كقوله تعالى "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (١).

وسادسها: إنه مدحه بصفات ست. فقال تعالى " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ" (٢).

ورسالته: أنه رسول الله إلى جميع الأنبياء. والرسل والأنبياء كلهم من البشر. وكرمه على عباد الله تعالى: أن جعله واسطة بينه وبين أشرف عباده فى الأرض. وهم الأ نبياء والحكماء. وقوته: أنه ما أخل بشىء من طاعات رنه أصلاً. ومكانته عند الله: أنه مستغرق فى تلك العبودية، غير ملتفت إلى شىء آ خر من الأغراض: وكونه مطاعاً: أنه إمام الملائكة وأستاذهم. وكونه أمينا: فهو قوله تعالى "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ.عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ " (٣).

ومن جملة أكابر الملائكة: إسرافيل وعزرائيل عليهما السلام والأخبار الكثيرة دلت عليهما. وثبت فى الأخبار: أن عزرائيل هو ملك الموت. قال تعالى " قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" (٤).

ويجب أن يكون له شعب ونتائج وأعوان. كما قال تعالى " وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ" (٥).

وأما إسرافيل – عليه السلام – فقد دلت الأخبار على أنه صاحب الصور، كما قال تعالى " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ" (٦).

والمرتبة الرابعة: من الملائكة المذكورين فى القرآن الكريم: ملائكة الجنة وملائكة النار. أما ملائكة الجنة فقوله تعالى " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ

---

(٧)آل عمران / أية/ ١٢٣.
(١)آل عمران / ١٩ ـ ٢١.
(٢) الشعراء / ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٣) السجدة/ أية / ١١.
(٤) الأنفال/ أية / ٥..
(٥) الزمر/ أية / ٦٨.

مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ. سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" (1).

وأما ملائكة النار فقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " (٢).

والمرتبة الخامسة :من الملائكة: الموكلون ببنى آدم. لقوله تعالى " إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ " (٣).

وقوله تعالى " لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ " (٤).

والمرتبة السادسة : الملائكة: الموكلون بأطراف هذا العالم

. قال تعالى "وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا " (٥).

فالمراد بقوله " الصافات صفا " الأرواح المقدسة الواقفة فى مقام الهيبة والجلال على درجات مرتبة، ومراتب مختلفة (٦).

ثانياً: صفات الملائكة:ـ

وننتقل إلى بيان صفات الملائكة لنتعرف عليها، وندرك من خلالها مدى الفرق الكبير بين الوحى الإلهى حينما يتحدث وبين " توراة " عزرا " وشيعته المحرفة والتى تحدثنا سابقاً عن صفات الملائكة ووصفتهم بأشنع الصفات التى لا تليق بهم وبعصمتهم.

---

(٦) الرعد / ٢٣ ـ ٢٤.
(٧) التحريم/ أية / ٦.
(٨) ق / أية / ١٧.
(٩) الرعد / أية / ١١.
(١) الصافات / ١ ـ ٣.
(٢) المطالب العالية / الفخر الرازى / ص ٤.. وما بعدها.

يرى الإمام الفخر الرازى: أن الكلام فى صفات الملائكة فى القرآن الكريم يكون من وجوه:.

الأول : إن الملائكة رسل الله. قال تعالى " الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١).

الثانى: قربهم من الله تعالى، قال تعالى " وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ " (٢).

وليس هذا القرب بإلمكان، فلم يبق إلا أن يكون القرب بالدرجة والرتبة.

الثالث: وصف طاعاتهم. وهو من وجهين:.

أحدهما: قوله تعالى حكاية عن الملائكة " وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ " (٣). وقال تعالى فى آيتين أخريين " وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ.وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ" (٤).

وثانيهما: إنهم لا يفعلون إلا بأمره. قال تعالى فى حكاية عنهم: " وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا" (٥).

وقوله "لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ " (٦).

والرابع: إنه وصف قدرتهم وكيف يشتبه ذلك، وهم المدبرون لأجرام السموات على عظمتها ؟

قال تعالى "وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " (٧).

ثم إن العرش أعظم من الكرسى، بحيث لا نسبة له إليه، ثم إن الكرسى مع

---

(٣) فاطر / ١.
(٤)الأنبياء /١٩.
(٥) البقرة / ٣..
(٦) الصافات /١٦٥- ١٦٦.
(٧) مر يم / ٦٤.
(٨) الأنبياء / ٢٧.
(١) الحاقة /١٧.

صغره محيط بجميع السموات، كما قال تعالى " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ " (١).

والخامس: وصف خوفهم فإنهم مع كثرة عبادتهم وشدة بعدهم عن الزلات يكونون خائفين وجلين. قال تعالى " يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "(٢). وقال تعالى" يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ " (٣).

وقال تعالى " حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ " (٤).

ويعلق الفخر الرازى هنا بقوله: يحتمل أن يكون المراد من فزعهم الشديد: عرفانهم بكونهم موصوفين بإمكان الوجود والعدم. والإمكان إذا اعتبر من حيث [هو هو] كان عدماً. والمراد بقوله: " قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ": فيض نور وجوده، وإيجاده عليهم، فيصيرون عند ذلك واجبى الوجود بغيرهم، فيحصل الأمن عن الهلاك والعدم.

واعلم: أنه ليس بعد كلام الله تعالى، وكلام رسول - ﷺ - كلام أعلى وأجلى

فى وصف الملائكة، من كلام الإمام الأجل " على بن أبى طالب " كرم الله وجهه. قال فى بعض خطبه: " ثم فتق ما بين السموات العلى، فملأهن أطواراً من ملائكته. منهم سجود لايركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون. يسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان.

ومنهم أمناء على وحيه إلى رسله. ومختلفون بقضائه وأمره. ومنهم الحفظة لعباده. والسدنه لأبواب جناته. ومنهم الثابتة فى الأرض السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة

(٢) البقرة /٢٥٥.
(٣) النحل / ٥..
(٤) الأنبياء / ٢٨.
(٥) سبأ / ٢٣.

لقوائم العرش أكتافهم. ماسكة دونه أبصارهم. وهم متلففون تحته بأجنحتهم، مطروبة بينهم وبين من دونهم: حجب العزة [أستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يحوزون عايه صفات المخلقين، ولا يحبونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر (١).

ثالثاً: عصمة الملائكة:ـ

فى الحقيقة إن الملائكة بفطرتهم معصومون عن ارتكاب الآثام والخطايا يستحيل صدور الذنوب منهم كبيرة أم صغيرة وفى ذلك يقول الله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ " (٢).

أى أن شأنهم وعادتهم وجبلتهم التى فطروا عليها هى الخضوع والعبادة.

وقال تعالى " عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " (٣).

وقال تعالى " يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ" (٤).

فهذه الآيات تفيد أن المعصية لا تحصل من الملائكة، فهم معصومون وقد اعترض المخالفون واستدلوا بأيات تفيد نفى العصمة عن الملائكة منها قوله تعالى حكاية عن الملائكة عند أمرهم بالسجود لآدم: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ " (٥).

فإن هذا القول تضمن أربعة أمور كلها من قبيل المعصية:

الأول: اغتيابهم لمن يجعله الله خليفة فى الأرض بذكر عيوبه،من أنه مفسد فى الأرض سفاك للدماء.

الثانى: تزكيهم أنفسهم وافتخارهم بأنهم يسبحون الله تعالى وينزهونه.

---

(٦) المطالب العالية / للرازى / ص ٤٠٢ وما بعدها.

(١) الأعراف / ٢٠٦.

(٢) التحريم / ٦.

(٣) الأنبياء / ٢..

(٤) البقرة / ٣..

الثالث:أن وصفهم للخليقة بأنه مفسد فى الأرض سفاك للدماء من قبيل الرجم بالظن، فإنه لم يكن قد وجد حتى يقع منه الإفساد فى الأرض، وسفك الدماء، فيشاهدوه واتباع الظن فى مثل هذا لا يجوز، قال تعالى " وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " (١).

الرابع:اعتراضهم على الله تعالى فى فعله (٢).

والجواب عن استدلالهم بهذه الآية أن الغيبة وصف الغير بالقبح إهانة له والتزكية وصف النفس بالجميل تعظيماً وتبجيلاً، ولم يكن غرض الملائكة إهانة الخليفة، ولا تزكية أنفسهم، بل غرضهم السؤال عن الحكمة من ذلك التخصيص مع وجود هذا التفاوت، وليس ذكرهم لهذه الأوصاف من قبيل الرجم بالظن بل علموها بواسطة الاطلاع على اللوح المحفوظ، وحينئذ فقد انتفى كون ذلك القول يراد به الاعتراض على فعل الله تعالى (٣).

الآية الثانية قوله تعالى " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " (4).

والاستدلال بهذه الآية على عدم عصمة الملائكة من جهة أن الأمر بالسجود كان

للملائكة، وقد تناول إبليس بدليل الاستثناء فامتنع إبليس وأبى واستكبر، وقال أنا خير منه خلقتنى من نار، وعاتبه الله تعالى فقال " قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ " (5).

---

(٥) الإسراء / ٣٦.

(٦)، القول السديد فى علم التوحيد / ١ /محمود أبو دقيقة / جـ٣ / ص ١٤٧ وما بعدها.

(١) المواقف فى علم الكلام لقصد الله والدين القاضى عبدالرحمن الإيجى /ص٣٦٦ وما بعدها / نشر /عالم الكتب بيروت، القول السديد فى علم التوحيد / ١ /محمود أبو دقيقة / جـ٣ / ص ١٤٧ وما بعدها.

(٢) البقرة /أية / ٣٤.

(٣) الأعراف /أية / ١٢.

والجواب تسليم أن إبليس قد عصى، ولكن يمنع كونه من الملائكة، بل كان من الجن وقد جاء فى أية أخرى " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ " [1].

وشمول الملائكة له فى الآية على سبيل التغليب، لكونه جنياً واحداً مغموراً بينهم، وهذا هو التحقيق الذى يجب التعويل عليه [2] .

الآية الثالثة المتعلقة [بهاروت وماروت] المتضمنة إنهما كانا يعلمان الناس السحر. حيث إن قوماً نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأت به قط أثر يجب أن يشتغل به، وإنما هو كذب مفترى من أنه تعالى أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت، وأنهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر، وحكما بالزور وقتلا النفس المحرمة، وزنيا وعلما زانية اسم الله الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكبا وهى الزهرة، وأنهما عذبا فى غار ببابل، وأنهما يعلمان النلس السحر. وحجتهم على ما فى هذا الباب خبر رويناه من طريق عمر بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعى، ومرة يقال له الحنفى، ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة، وليست أيضاً عن رسول الله ﷺ . ولكنه أوقفها على علىّ بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ. وكذبة أخرى فى أن حد الخمر لم يسنه رسول الله ﷺ . إنما هو شىء فعلوه، وحاشا لهم رضى الله عنهم من هذا [٣] .

وبالتالى حسب زعم أصحاب هذا الرأى يكون ما وقع من هذين الملكين يدل على عدم عصمة الملائكة، ونحن نعلم أن جميع أصناف الملائكة معصومون من الخطأ لانهم عباد مكرمون مجبولون على الطاعة والعبادة، لا يعصون ربهم ما أمرهم.

ويرد الأمام ابن حزم على هذه الادعاءات الباطلة بقوله: ـ

(٤) الكهف /أية / ٥..

(٥) القول السديد / ص١٤٧.

(٦) الفصل فى الملل الأهواء والنحل / لابن حزم الأندلسى / جـ٤ /ص٦١ وما بعدها. دار الجبل ـ بيروت ـ لبنان. ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

ومن البرهان على يطلان هذا كله قول الله تعالى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " مَا نُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ " (١).

فقطع الله عز وجل أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق، وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة، ولا تعليم العواهر أسماءه عز وجل،، التى يرتفع بها ألى السماء، ولا السحر من الحق، بل كل ذلك من الباطل، ونحن نشهد أن الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل. وإذا لم تنزل به فقد بطل أن تفعله، لأنها لو فعاته فى الأرض علينا لما أنظرنا،، فصح أنه لم ينزل قط ملك ظاهر إلا لنبى بالوحى فقط. وقال ابن حزم: وكذلك قوله تعالى " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ " (٢).

فأبطل عز وجل أنه يمكن ظهور ملك إلى الناس وقال تعالى " وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ " (٣).

فكذب الله عز وجل كل من قال: إن ملكاً نزل قط من السماء ظاهراً الإ إلى الأنبياء بالحق، من عند الله فقط وقال عز وجل " وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا.يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا" (٤). فرفع الله تعالى الإشكال بهذا النص فى هذه المسألة، وقرن عز وجل نزول الملائكة فى الدنيا برؤيته عز وجل فيهما، فصح ضرورة أن نزولهم فى الدنيا إلى غير الأنبياء ممتنع البتة لا يجوز.

وإن من قال ذلك فقد قال حجراً محجوراً، أى ممتنعا وظهر بها كذب من ادعى أن ملكين نزلا إلى الناس فقلماهما السحر، وقد استعظم الله عز وجل ذلك منرغبة من رغب نزول الملائكة إلى الناس،وسمى هذا الفعل اتكبار وعتواً، وأخبر أننا لا نرى الملائكة أبداً إلا يوم القيامة فقط، وأنه لا بشرى يومئذ

(١) الحجر /أية / ٨.
(٢) الأنعام /أية / ٩.
(٣) الأنعام /أية / ٨.
(٤) الفرقان /٢١ /٢٢.

للمجرمين [1]، وهنا نرد على اليهود الذين جعلوا للملائكة علاقات غرامية مع النساء من البشر، وأنهم أنجبوا منهم العماليق، فهذه الآيات السابقة ترد عليهم وتبطل كلامهم، وأنه لا رؤيا للملائكة إلا يوم القيامة، وأن هذا الكلام ما هو إلا كلام الملحدون الذين لا يؤمنون بعالم الغيب. ويقول ابن حزم: لا شك أن الأمر لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما. إما أن هاروت وماروت لم يكونا ملكين وأن "ما" فى قوله: وما أنزل على الملكين نفى لأن ينزل عليهما ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا تعلمان الناس السحر. وقد روينا هذا القول عن خالد بن أبى عمران وغيره، وروى عن الحسن البصرى [2].

أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام. وكان يقول: إن هاروت وماروت علجان [3] من أهل بابل. إلا أن الذى لا شك فيه على هذا القول أنهما لم يكونا ملكين...

وإما أن يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق ويعلم ما، على أنبياء، فعلماهم الدين، وقالا لهم لا تكفروا نهياً عن الكفر بحق وأخبراهم أنهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر به، ويهدى بهما من آمن بما أتيا به قال تعالى عن موسى أنه قال له " إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ " [4].

وكما قال تعالى: " الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ " [5]. ثم نسخ ذلك الذى أنزل علىالملكين فصار كفراً بعد أن كان إيماناً، كما نسخ الله تعالى شرائع التوراة والانجيل في فتمادت الجن على تعليم ذلك

---

(٥) الفصل فى الملل الأهواء والنحل / لابن حزم الأندلسى / جـ٤ /ص٦٢ وما بعدها.

(١) الحسن البصرى: هو الحسن بن يسار البصرى.، أبو سعيد تابعى، كان إمام أهل البصرة، وجبر الأمة، ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وشب فى كنف علىّ بن أبى طالب ـ ﷺ ـ، واستكتبه الربيع بنزياد والى خرسان فى عهد معاوية وسكن البصرة وتوفى بها عام ١١. هـ. تهذيب التهذيب.

(٢) علجان فعالجا عن دينكما ؛ أى صلبان شديداً الأسر والعلج الرجل القوى الضخم / راجع لسان العرب لبن منظور /جـ٢ /ص٣٢٧، والفائق /جـ ٣ / ص٢٣.

(٣) الأعراف /أية / ١٥٥.

(٤) العنكبوت ١ـ ٢.

المنسوخ، وبالجملة فما فى الآية نص ولا دليل على أن الملكين علما السحر، وإنما هو إقحام أقحم فى الآية بالكذب والآفك، بل فيها بيان أنه لم يكن سحراً بقوله تعالى " وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ " (١).

فصح أن السحر شىء غير الذى أنزل على الملكين. ولا يجوز أن يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً واحداً الإ ببرهان من نصه أو إجماع أو ضرورة، إلا فلا أصلاً.

وأيضاً فإن بابل هى الكوفة وهى بلد معروف بقربها، محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح أنه خراقة موضوعة إذ لو كان ذلك لما خفى مكانهما على أهل الكوفة، فبطل التعلق بهاروت وماروت (٢).

ويرى فضيلة الشيخ محمود أبو دقيقة: أن ما نسب إلى الملكين من العمل بالسحر والأفتتان بالمرأة كلام دسه الملحدون، وليس له أصل، وكل ما فى الأمر أن السحرة فى ذلك العصر كثروا وصاروا يأتون بأفعال غريبة فى العادة، ويدّعون النبوة فأنزل الله الملكين لأجل أن يعلموا الناس السحر، حتى يعرفوا أن ما تأتى به السحرة ليس من قبيل الأمر الخارق للعباد، حتى تصح دعواهم النبوة، وإنما هو من الأمور التى تدخل تحت قدرة البشر فلا يكون دليلاً على حجة دعوى النبوة، وكان الملكان يقولان للناس " إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ "أى نزلنا لاختبار الناس وابتلائهم، والقرآن لا يعطى أكثر من ذلك، فيجيب الاقتصار عليه وطرح ما عداه حيث لم يثبت من طريق صحيح " (٣).

فخلاصة ما قيل فى الملائكة كما ورد فى الآيات القرآنية الكريمة أن الملائكة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " (٤).

---

(٥) البقرة /أية / ١٠٢.

(١) الفصل فى الملل الأهواء والنحل / لابن حزم الأندلسى / جـ٤ /ص٦٤ وما بعدها.

(٢) القول السديد فى علم التوحيد /أ /محمود أبو دقيقة /جـ٣ / ص١٤

(٣) التحريم /أية / ٦.

وكما جاء فى قوله تعالى " يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " (١).
وبالتالى يجب الايمان بأن هناك عالم غيبى من جملته الملائكة، فمن أنكر وجودهم فهو كافر لانكاره معلوماً من الدين بالضرورة.
كما نقول بأن كل ما جاء فى القرآن عن الملائكة ما هو الإ جواب ورد عن كل ما قالته التوراة فى حق الملائكة، تلك التوراة التى وضعها " عزرا " بيده وضمنها كل ما هو لا يقبله العقل السليم.

الفصل الثانى
خلق الإنسان " آدم ـ حواء "

المبحث الأول: خلق الإنسان فى سفر التكوين:

أولاً: خلق آدم عليه السلام:

قبل التعرض لقصة آدم فى سفر التكوين لابد أن نتعرف على معنى كلمة آدم حيث جاء فى مختار الصحاح: أنها تعنى " أبو البشر ".
وكذا فى المعجم الوجيز " (٢).

(٤) النحل /أية / ٥٠.
(١) مختار الصحاح / جـ١ / ص ١٠٤، المعجم الوجيز / ص١٠.

وجاء فى كتاب " مقتطفات من سفر التكوين " أن آدم تعنى " الأحمر " جبله الرب الإله تراباً من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية. وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها (١).

ولقد حاول الاشتقاقيون أن يجدوا لآدم أصلاً فى " أديم الأرض " الذى خلق منه، والحق . فى نظرنا ـ أن أديم الأرض اشتق من" آدم " الذى يعنى " الأنسان " بالمعنى العام فى كثير من اللغات، وكان مرتبطاً بالتراب، والطين، فأطلق على مادته التى خلق منها: أديم، على سبيل الاشتقاق من الجوامد، وهو مجاز مرسل علاقته الأصلية والفرعية، إن صح التصور.

ويقول موسى بن ميمون: اسم آدم مشتق من ادمه ويكون اسم النوع ويمكن أيضاً أن يقال: إن (الأدم) بمعنى الجلد " مشتق كذلك من " آدم "، ويطلق على الجلد: البشرة، وللبشرة علاقة لفظية بالكلمة القديمة الأولى فى ملحمة الخلق، كلمة " بشر " التى تفردت بها العربية (٢).

ولسوف أتعرض للعلاقة بين البشرية والانسانية عند الحديث عن قصة خلق آدم فى القرآن الكريم.

ونعود إلى الكلام عن قصة آدم فى سفر التكوين، حيث ذكرت قصة آدم فى الاصحاحين الثانى والثالث فى سفر التكوين وننقلها كما جاءت: ـ

١ـ آدم

" هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم يكن ينبت بعد. لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار. آدم نفساً حية. وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا. ووضع هناك آدم الذى جباه.

(٢) مقتطفات من سفر التكوين / لحبيب حكيم / ص ٩ / القاهرة ١٩٧٢ م المطبعة المتحدة تقديم د/ القسى لبيب مشرقى.

(٣) أبى آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة / د/ عبدالصبور شاهين / ص ١٧٤ دار أخبار اليوم قطاع الثقافة.

وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجر شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر. وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون. وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد هناك المقْلُ وحجر الجزع، واسم النهر الثانى جيحون. وهو المحيط بحميع أرض كوش. واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى فى شرقى أشور. والنهر الرابع هو الفرات (١).وهنا نتوقف مع النصوص السابقة لنناقشها على النحو التالى:

١. لو نظرنا للعبارة القائلة " وغرس جنة فى عدن شرقاً.... إلخ

النص نجد المؤلف أراد حدود المكان الذى تقع فيه الجنة رسماً دقيقاً، وهنا يعلق "ليوتاكسبل " قائلاً:

حبذا لولم يقل شيئاً بهذا الصدد قط، لأنه من الصعب أن تجد من يضع نفسه فى موقع أكثر غباء من هذا الموقع. فالباحثون يعترفون كلهم، بأن نهر فيشون هو، نهر فاز، الذى دعى فيما بعد باسم أراكس: ويقع هذا النهر فى أرمينا، وهو ينبع من منطقة تحتوى على الذهب وحجر الجزع، فإن أحداً لايعرف ما هو " المقلُ " من جهة أخرى، لايمكن أن يكون خطأ بصدد نهرى دجلة والفرات. وبناء على ذلك يتضح، أن التوراة تحدد موقع الجنة الأرضية فى مكان ما، يقع بين أرمينا وبلاد الرافدين. ومع أن منابع أراكس ودجلة والفرات ليست بعيدة عن بعضها، الإ أن لكل منها منبعه المستقل، فاراكس، وهو أكبر روافد نهر كورا، ينبع من ينغيل . داغ [فى تركيا] ويسير حتى بحر قزوين، أما دجلة والفرات، فالأمر لا يقتصر على أن لكل منهما منبعه المستقل، بل إنهما يلتقيان معاً قبل أن يصبا فى الخليج العربى (٢).

أما فيما يتصل بالنهر الذى يدعوه سفر التكوين جيحون، فإن خطأ المؤلف "المقدس " يعتبر خيالياً، فحسب السفر المذكور، إن هذا النهر يحيط بجميع أرض كوش [حوش] ولكن أرض حوش وهو[ابن حام ووالد نمرود] هى

(١) من الاصحاح الثانى / سفر التكوين / عدد ٧: ١٥.
(٢) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير /ص ١٤ وما بعدها.

حسب التوراة، أثيوبيا بعينها. أى من نهر جيحون هو النيل، الذى من المعروف أنه يجرى فى أفريقيا، فى اتجاه معاكس للاتجاه الذى يجرى منه دجلة والفرات، أى من الجنوب إلى الشمال، وإذا أخذنا نقطة انبثاقه فى أفريقيا الاستوائية، من منطة بحيرة فيكتوريا، فإن المسافة، التى. تفصل النقطة عن المنطقة، التى فيها منابع الأنهارالثلاثة الأولى هى ثلاثة الآلف كيلو متر. أما سفر التكوين فيعلن أن الأنهارالأربعة تروى بستاناً واحداً هو جنة عدن. والحقيقة أن المسافة بين منبعى دجلة والفرات ليست أكثر من مائة كيلومتر، ومع ذلك فإنها مسافة كبيرة لرى بستان واحد. ولكن، ما هو هذا البستان المترامى الأطراف، الذى يحتوى على جبال ومنحدرات عظيمة تقع فى أكثر بقاع الأرض وعورة ؟ (١) .

كما يعلق الشيخ علاء الباجى بقوله عن هذه النصوص: ـ

كيف يحسن أن يقال" ونصب الله الفردوس فى عدن، مقابل الشرق " ؟

مع أن الفردوس: جنة أيضاً فيها أرض وأشجار مثل عدن ليسقيها " وظاهر قوله " نصب " يفهم منه أنه شىء كالخيمة التى تنصب، أو الميزان الذى ينصب،أو العمود الذى ينصب، أو نحوها. فكان اللفظ الدال عليها أن يقال: وخلق الله تعالى الفردوس. فلم عدل عن اللفظ الصريح إلى الوهم ؟

وكيف يحسن أن يقال: " مقابل للشرق والغرب والجهات كلها. وليس للشرق مزية فى المقابلة على الغرب ونحوه.

كما ينقد الشيخ الباجى قول التوراة: بأن النهر الخارج من عدن " أربعة أنهار. أحدها: فيشون، يحيط بأرض الهند. وثانيها: جيحان يحيط بأرض الحبشة . وفى نسخة " بأرض كوش " وثالثها: الدجلة، الذاهبة نحو الموصل، ورابعها الفرات، فإن ظاهره أن الأرض التى نحن عليها متصلة بأرض الحبشة، فيمكن أن تجرى الأنهار من الجنة إلى أرضنا، ولو كان كذلك لا تصل بالجنة بعض الناس، السالكين فى الأرض، مع تطاول السنين (٢).

(١) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير /ص ١٣ وما بعدها.
(٢) على التوراة / للشيج علاء الباجى / ص ٣..

وأيضاً: فإن ظاهر حال جريان هذه الأنهار وهيئتها أن الجنة محيطة بالأرض، فتكون أرضنا التى نحن فيها فى وسط الجنة، فتكون نحن فى وسط الجنة، وهو ظاهر الفساد [١].

وقال الإمام ابن حزم . ﷺ . معلقاً على النصوص السابقة: .

فى هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزىء.

أول ذلك: إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنات عدن التى أسكن الله فيها آدم. إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن أكلها، وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة الرُّبع المعمور من الأرض الذى هو فى شمال الأرض، أو من مشى إلى مصر والشام والموصل . يدرى أن هذا كله كذب فاضح، وأن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمورة مصبه قبالة " تنيس " [٢].

وقبالة الإسكندرية فى آخر أعمال مصر فى البحر الشامى. وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال.

فأما " جيحان " فيخرج من بلاد الروم، ويمر ما بين " المصيصة "[٣] وربضها[٤] المسمى " كفربيا " [٥].

حتى يصب فى البحر الشامى على أربعة أميال من المصيصة.

أما" دجلة " فمخرجها من أعين بقرب "خِلاط" [٦] من عمل أرمينية [١] بقرب "آمد " [٢] من ديار بكر [٣] وتصب مياها فى البطائح المشهورة بقرب البصرة فى أرض العراق متأخمة أرض العرب.

---

(٣) على التوراة / ص ٣..

(٤) تنيس: جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط معجم البلدان / جـ٢ /ص ٥٢.

(١) المصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسون [معجم البلدان] /جـ٥ /١٤٤.

(٢) الرَّبض: ما حول المدينة [المعجم الوسيط] / ص ٣٢٣.

(٣)كفربيا: مدينة بإزاء المصيصة على شاطى جيحان [معجم البلدان] جـ٤ / ص٤٦٨.

(٤) خلاط: بلدة عامرة مشهورة كثيرة الخيرات، وهى قصبة أرمينية الوسطى [معجم البلدان] جـ ٢ / ص/ ٣٨١.

وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من " قالى قلا" (٤) قرب "أرمينية " ثم يخرج إلى " ملطية " ثم يأخذ على أعمال " الرقة " (٥) .

إلى العراق، وينقسم على قسمين: كلاهما يقع فى " دجلة ". فهذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها. والله تعالى لا يكذب وأخرى وهى قوله: إن النيل محيط ببلد " زويلة "، " وجيحان " محيط ببلد الحبشة،وهذه كذبة شنيعة ما فى جميع أرض السودان والحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل وما ثم غيره أصلاً، ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد، ثم يجتمع فوق بلادالنوبة.

وكذبة ثالثة: وهى قوله: إن ببلد " زويلة " اللؤلؤ الجعد وهذا كذب، وما اللؤلؤ بها مكان أصلاً إنما اللؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس وبحر الهند والصين، وهذه فضائح لا خفاء بها لم يقلها الله تعالى قط، ولا إنسان يهاب الكذب. فإن قال قائل: فقد صح عن نبيكم - ﷺ - أنه قال: " النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة " (٦) قلنا نعم. هذا حق لاشك فيه، ومعناه هو على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلاً، وهى أسماء لأنها الجنة كالكوثر والسلسبيل.

---

(٥) أرمينية [بفتح أوله ويكسر] اسم لصقع واسع عظيم فى جهة الشمال. وحدها من برذعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق.

(٦) آمد [بكسر الميم، وهى لفظة رومية]: بلد قديم حصين ركين مبنىّ بالحجارة السود على نشز، ودجلة محيطة بأكثر مستديرة به كالهلال، وهى تنشأ من عيون بقربه (مراصد الاطلاع: ص ٦) نقلاً عن الفصل فى الملل والأهواء والنحل / ص ١٤٢.

(٧) ديار بكر: بلاد كثيرة تنسب إلى بكر بن وائل وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد... ولا يتجاوز السهل" راجع مراصد الاطلاع /ص٥٤٧ نقلاً عن هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل / لابن حزم / ص ١٤٢.

(٨) قالى قلا: بلدة بأرمينية العظمى من نواحى خلاط [معجم البلدان /جـ٤/ ص٢٩٩.

(٩) الرقة / [بفتح أوله وثانيه وتشديده]: مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرقى بينها وبين حران ثلاثة أيام من بلاد الجزيرة / مراصد الاطلاع: ص ٦٢٦.

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند / ٢ / ٢٦١ عن أبى هريرة عن رسول الله - ﷺ -: " فجرت أربعة من الجنة: الفرات والنيل والسيحان وجيحان ".

فإن قيل: قد صح عنه عليه السلام أنه قال: ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة " (١).

قلنا: هذا حق، وهو من أعلام نبوته، لأنه أنذر بمكان قبره فكان كما قال، وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه إلى دخول الجنة، فهى روضة من رياضها، وباب من أبوابها. ومعهود اللغة أن كل شيء فاضل طيب فإنه يضاف إلى الجنة. ونقول لمن بشرنا بخبر حسن هذا من الجنة. ويسترسل الامام ابن حزم قائلاً:

وليس كذلك هذا الذى فى توراة اليهود لأن واضعها لم يدعنا فى لبس من كذبة بل بين أنه عنى النيل المحيط بأرض زويلة بل الذهب الجيد، ودجلة التى بشرقى "الموصل "، وجيحان " المحيط ببلاد الحبشة الذى لم يخلق بعد، فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجاً. وأيضاً فإنهم لا يمكنهم البتة تخريج ما فى توراتهم المكذوبة على وصفنا نحن الآن فى نص توراتهم أن الجنة التى أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها إنما هى شرق عدن، فى الأرض لا فى السماء كما نقول نحن. فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلاً، ولو لم يكن فى توراتهم إلا هذه وحدها لكفت فى بيان أنها موضوعة لم يأت بها " موسى " قط، ولا هى من عند الله تعالى فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر ؟(٢).

٢. الشجرة المحرمة

جاء فى سفر التكوين " وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة أكلاً تأكل، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت " (٣)

وهنا نتوقف مع هذا النص الذى يبعث على الخجل كما عبر بذلك نقاد التوراة أنفسهم حيث يقول ليوتاكسبل فى كتابه " التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ؟:.

---

(٢) رواه عن أبى هريرة البخارى فى الصلاة فى مسجد مكة والمدينة باب ٥، ومسلم فى الحج [حديث ٥٠٢].

(٣) الفصل فى الملل الأهواء والنحل / لابن حزم الأندلسى / جـ١ /ص١٤١ وما بعدها.

(٤) تكوين /١٦،٢،١٧.

" لقد كانت للمواعظ الدينية كثير من الكتب التعليمية، التى سميت " التاريخ المقدس " وقد ألتزمت تلك الكتب الصمت التام حيال النصوص التوراتية التى تبعث على الخجل. لقد اعتادوا أن يحدثوا المؤمنين عن " شجرة معرفة الخير والشر " فقط. ولا ينطق رجال الكنيسة بكلمة واحدة عن " شجرة الحياة ".

ويعلق ليوتاكسبل قائلاً: إننى سأهتم بالثمرة التى قادت الانسان إلى هوة الخطيئة. ويذكر فى هذا السياق بأن يوليان، الفيلسوف [1] الذى لا يطيق الكنسيون سماع ذكره، قد دون عدداً من الملاحظات المتعلقة بهذه الشجرة العجيبة، وكتب فولتير يقول: " إننا نعتقد أنه كان ينبغى على السيد الرب أن يأمر الانسان مخلوقه، بأن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر قدر ما يستطيع ؛لأنه بما أن الله منحه رأساً تفكر فقد كان من الضرورة تعليمه، وكان أكثرضرورة، ارغامه على إدراك الخير والشر، كى يستطيع القيام بالتزاماته على أكمل وجه " [2].

٣. خلق المرأة "حواء"

"وقال الرب الإله ليس جيداًأن يكون آدم وحده فاصنع له مضيا نظير، وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حتى اسماً له. وهكذا أطلق آدم أسماء على كل الطيور والحيوانات والبهائم. غير لأنه لم يجد لنفسه معينا نظيره. فأوقع الرب الإله آدم فى نوم عميق، ثم تناول ضلعاً من أضلاعه وسد مكانها باللحم. وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم. فقال آدم، هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. فهى تدعى امرأة لأنها

(١) يوليان الفيلسوف.هو يوليان قلافيوس كلاوديوس [٣٣١ ـ ٣٦٣] امبراطور روما [منذ عام ٣٦١، من أنصار الأدب والفلسفة القديمين، اشتهر بمحاولته، تجديد العبادات الوثنية التى كانت قد ملكت فى ذلك الوقت، ولذلك وصف بالمسيحى "المرتد " كتب بحثاً فى ثلاثة مجلدات عنوانه " ضد المسيحيين "، وقد انتقد فيه التوراة والكتب المقدسة، الأخرى انتقاداً منطيقياً. ولكن الكنيسة المسيحية اتلفت البحث المذكور ولم يبق منه سوى مقاطع.

(٢) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ليوتاكسبل /ص ٢١ وما بعدها.

من أمرىء أخذت "، لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بأمراته، ويصيران جسداً واحداً. وكان آدم وامرأته عريانين، ولم يعتريهما الخجل " [١]. وهنا يعلق الشيخ الباجى بقوله: كيف يحسن أن يقال: " فقال الرب الإله لا يحسن الانسان أن يكون وحده يصنع له معيبا مثله " بعد قوله قبل ذلك [٢] فى سفر التكوين " صنفه ذكرا وأنثى " صنعهما وباركهما "؟ والسؤال بعينه وارد على قوله بعد ذلك: " ولم يجد آدم معينا له " فانه قد صنع له معينا. فإن قيل: إن هذين الكلامين إخبار عن حال آدم، قبل خلق حواء. وذلك الكلام الأول الذى فى الاصحاح الأول من سفر التكوين إخبار عن حال آدم، بعد خلق حواء. ولايمتنع أن يخبر عن الحالة الأولى ثم عن الحالة الثانية.

قلت هى أنه لايمتنع. ولكن الترتيب الطبيعى، والجريان على مقتضى الوجود الخارجى يقتضيان، أن يجبر عن الحالة الأولى قبل الاخبار عن الثانية، فما الحكمة، فى عكسهما، وسلوك الترتيب الموهم ؟ أيضاً وجه النقد إلى العبارة القائلة: " وقال آدم: الآن فهذه عظم من عظامى، ولحم من لحمى " وقوله: " فأنشأ الرب الإله الضلع الذى أخذه من آدم امرأة "؟ فإن مقتضى هذا أن يقول آدم: هذه عظم من عظامى فقط. أما اللحم من لحمى فلا. لأنها أنما خلقت من الضلع على ما ذكره، على أن آدم لما خلقت حواء من ضلعه كان الله قد ألقى عليه السبات. فكيف يحسن منه أن يخبر بما لا يتحققه ؟ فإن قيل: لعله أعلمه الله بذلك. قلت: لو أعلم به، لأخبر عنه اخباراً مطابقاً لخبر الله عنه، ولم يزد فيه الزيادة المذكورة [٣].

وكيف يقول سفر التكوين أيضاً: " من أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بأمراته، ويكون كلاهما جسداً واحداً "؟ فإن إلتصاقه بهما لو كان كذلك ؟ لالتصق بكل امرأة من زوجة أو غيرها: وانما ألتصق بها ؟ لأنها محل شهوته فقط، ولم يلتصق بغيرها، لأنها ليست محل شهوته [٤].

---

(٣) تكوين / ١٩: ٢٦.
(٤) تكوين / ١: ٢٧.
(١) على التوراة / للشيخ الباجى / ص ٣١.
(٢) المصدر السابق / ص ٣١.

ويقول سفر التكوين أيضاً: " وكان كلاهما عريانيين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان " (١).

وهنا نقف عند هذا النص لنرى ما فيه من الخزى، الذى لا يصدقه إنسان، إذ يفيد شراح الكتاب المقدس، بأن ذلك العرى لم يستدع أى وجه من درجات الشعور بالخجل، الأمرالذى يبرهن على نقاء والدينا الأولين، ويعد علامة لكمالهما الروحى. ولكن إذا كان العرى هو علامة الكمال الأخلاقى، كما يرى اللاهوتيون، فإن هذا ينسحب أيضاً على، بشر الثقافات البدائية كلها، اضافة إلى الاينك الامريكيين، وبعض قبائل أفريقيا، وسكان بولينيزيا وميلاتيزيا، وغيرهم من الجماعات البشرية، التى لم تكن ترتدى أى ملابس،ومع ذلك،عندما استعمر الاسبان، والبرتغاليون، والفرنسيون، الانجليز، شعوب البلدان المذكورة، قضوا على القبائل المحلية التى كانت تعيش حالة نقاء تامة،وقد بارك كهنة المسيحية تلك المجازر، ووجدواالمبرر النظرى لوحشية المتحضرين " تلك. ثم يؤكدون من جهة أخرى، أن البرد هوالذى أرغم الناس على ارتداء الملابس، ولا يعيش الناس عراه إلا فى المناطق الحارة. أضف إلى ذلك، أنهم عندما يكون كلهم عرايا، لا يخجل من العرى أحد..(٢).

سقوط الانسان ومسؤولية حواء الكاملة عن اقتراف أول معصية:

وهى أول عاصية: تقول التوراة فى سفر التكوين " وكانت الحية أمكر وحوش البرية التى صنعها الرب الإله، فسألت المرأة. أحقاً أمر كما الله ألا تأكلا من جميع شجر الجنة ؟ فأجابت المرأة " يمكننا أن نأكل من ثمر الجنة كلها، ما عدا ثمر الشجرة التى فى وسطها، فقد قال الله: لا تأكلا منه ولا تلمساه لكى لاتموتا ". فقالت الحية للمرأة " لن تموتا،بل إن الله يعرف أنه حين تأكلان من ثمر هذه الشجرة تنفتح أعينكما فتصيران مثله، قادرين على التمييز بين الخير والشر. وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل وشهية للعيون، ومثير

(٣) تكوين / ٢ / ٢٥.

(٤) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ليوتاكسبل /ص ١٩ وما بعدها.

للنظر قطفت من ثمرها وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضاً فأكل معها، فانفتحت للحال أعينهما، وأدركا أنهما عريانان، فخاطا لأنفسهما مآذر من أوراق التين ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ من حَضرة الرب الإله بين شجرالجنة. فنادى الرب الإله آدم، أين أنت؟ فأجاب " سمعت صوتك فى الجنة فأختبأت خشية منك لأنى عريان ". فسأله: من قال لك إنك عريان ؟ هل أكلت من ثمر الشجرة التى نهيتك عنها؟ فأجاب آدم: إنها المرأة التى جعلتها رفيقة لى. هى التى أطعمتنى من ثمر الشجرة.فأكلت. فسأل الرب الإله المرأة، ماذا فعلت ؟ " فأجابت: أغوتنى الحية فأكلت " فقال الرب الإله للحية: " لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، ومن التراب تأكلين طوال حياتك، وأثير عداوة دائمة بينك وبين المرأ ة. وكذلك بين نسليكما، هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبة [١].

وهنا نقف عند هذه النصوص لنقوم بمناقشتها من خلال كلام النقاد والشراح للتوراة أنفسهم حيث يقول ليوتاكسبل: إن أول ما يثير الدهشة فى هذه القصة هو، إن حديث "الحية " مع المرأة فيها، ووقعة الشرح الذى قدمته بلغة جدينا الأولين لم يقدمها المؤلف لنا حدثاً خارقاً عجيباً أو رمزاً، فسفر التكوين يقدم الحية حية وحسب. فهى من الزواحف،كلها مكر وإغراء،وقد أغرت المرأة بعد أن رسمت لها صورة الحياة التى ستحياها، إن هى خالفت وصية الرب، ولم تستطع جدتنا الشابة مقاومة الاغراء، فسقطت سقوطاً مدويا لا تزال تسمع صداه حتى يومنا هذا [٢] .

لقد وصفت التوراة الحية وصفاً بلغت طبيعيته درجة جعلت اللاهوتيين المسيحيين يدخلون على الخرافة التوراتية تصحيحهم الخاص، بعد ان رأوا أنها بعيدة عن الحقيقة بعداً غير مقبول. ولكن التصحيح المسيحى بدّل ما عرضه سفر التكوين تبديلاً كلياً يتناقض تماماً مع رواية التوراة. فحسب هذا التعديل

(١) تكوين / ٣ / ١:١٥.
(٢) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ليوتاكسبل /ص ٢١ وما بعدها.

الذى يتساوى مكره ونبله أن الشيطان الذى أخذ شكل الحية وأغرى زوجة آدم. هكذا حرّف اللاهوتيون الأمر، وهكذا يعلمونه.

لكن هذا التأويل ليس أكثرمن تحريف صريح لكتاب التكوين.

أولاً: ليس فى النص كلمة واحدة تجيز مثل هذا التأويل.

ثانياً: بين مؤلفى أسفارالعهد القديم ثمة اثنان فقط، جاءا على ذكر الشيطان وهما صاحب كتاب أيوب، الذى قال: إن الشيطان قام فى أحدى الأيام ينازع الله فى السماء ؛ وصاحب كتاب طوبيا، الذى تحدث عن الشيطان زامورداس[١].،الذى عشق امرأة تدعى سارة، فخنق أزواجها السبعة. بيد أن هذين الكتابين لم يظهرا إلا فى نهاية التوراة، ولا تقع فيهما، أو فى أى سفر آخر من أسفارها على ذكر للشيطان لوسفير [٢].

وهو الشيطان الذى يطيب للكنسيين إظهاره فى كل مرة يريدون فيها اضافة مزيد من التوابل والتشويق للخرافات الدينية. أما التوراة فلم تأتنا بأية قصة عن الشيطان الذى قام ضد الله، فهزمه مخائيل، رئيس الملائكة. ولذلك فإن هذا وكل ما يخص الشيطان فيها، اختلق فى زمن لاحق على كتابة أسفار التوراة.

من جهة أخرى، هناك شارحون مضحكون آخرون، وفلاسفة من اتباع مذهب الشك، الذين يتسابقون لبلوغ مستوى مبتذل من الرمزية، فجعلوا من " شجرة معرفة الخير والشر ". الشهيرة شجرة تفاح ؛ وقد افترض هؤلاء أن الغرض من مشهد حوار حواء والأفعى. هو إبلاغنا بأن حواء لم تكن قد عرفت الحية من قبل. وانها تلقت أول درس فيه من الشيطان، الذى تحول إلى أفعى ليتسنى له بلوغ هدفه بسهولة [٣].

---

(١) أزامورداس. هو الاسم الذى أطلقته على رئيس الشياطين،الكتب والمؤلفات الدينية اليهودية والمسيحية المبكرة التى لم تدرج فى التوراة والتلمود. وجاء ذكر اسم لزمود لأول مرة فى كتاب طوبيت التوراتى، فقد وقع هذا الكائن الخرافى فى غرام سارة ابنة راعوئيل ومنعها من الزواج. راجع المصدر السابق / ص٥٢٧.

(٢) لوسفير:معناها الحرفى " حامل النورُ ". هو لقب شائع لكثير من الآلهة التى تتولى شؤون نحوم سماوية. وغدا فى القرون الوسطى اسماً من اسماء الشيطان. راجع التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ص/ ٥٢٧.

(٣) المصدر السابق /ص ٢٣ وما بعدها.

ويستطرد ليوتاكسبل فى الحديث وتوجيه النقد للتوراة قائلاً: ولكن مهما كانت هذه الطرفة مسلية، وهى ليست أسوأ من التأويلات الحسنة النية، فإن علينا تركها لأنها نص حرفه رجال الكنيسة إن علينا أن نأخذ التورات كما هى: ففى النص الذى نعالجه الآن، يظهر الحيوان الذى يسمى حيه بعينه، ولا حاجة لاقحام شيطان ما فى الحدث. أما لمزات العشق المنسوبة إلى الحية، فلا وجود لها فى هذا النص التوراتى. والحية الطبيعية الخالصة من أى أضافات أخرى،هى المقصودة هنا. وما تجدر الإشارة إليه، أن المؤلف يرى هذا الحيوان الزاحف بعيّنى اتباع مختلف الديانات. فالقدماء اعتبروا الحية حيواناً فى غاية الخبث والدهاء والأذى. وقد عبدتها بعض القبائل الأفريقية.

من جهة أخرى، نستطيع أن نصادف الحية المتكلمة فى مختلف آداب الشرق، ومن المعروف أيضاً، أن الميثولوجيات التى ازدهرت فى آسيا،مليئة بالحيوانات الناطقة. فعند الكلدانيين مثلاً: كانت السمكة اوانيس تخرج رأسها من ميا ه، الفرات كل يوم لتلقى مواعظها الطويلة على الذين يتجمعون عند الشاطىء. وكانت تعطيهم مختلف النصائح والارشادات وتعلمهم الغناء والزراعة.

لم تكن الحية التوراتية تحتاج أن يسكنها الشيطان. وهى، على وجه العموم، أقل خبثاً بكثير، مما حاول أن يصفها سفر التكوين. تتميز قصة هذه "الحية" بسذاجة مفرطة، اضافة إلى أنها تعج بالتناقضات.

فعلى سبيل المثال، ما الذى رمت إليه الحية عندما قالت لحواء: " ستكونا كالآلهه "؟ اذاً ثمة كثرة من الآلهة، زد إلى هذا أن كلمة" آلهه "تتردد فى نصوص توراتية أخرى وسنرى لاحقاً أن الآله اليهودى يهوه لا يعتبر نفسه الهاً واحداً وحيداً وحدانياً ولكن لنبق الآن مع هذا التعبير، الذى وضع شارحى الانجيل المسيحيى فى حلقة مغلقة، إذ يؤكد هؤلاء، أن الزاحفة قصدت بكلمة "آلهة "، إلى الملائكة، فقال معارضوهم: لم يكن باستطاعة الحية أن تعرف

الملائكة ؛ وهى لم تكن تستطيع أن تعرف الآلهة أيضاً، وللسبب نفسه وهكذا تبقى السذاجة والتضليل سمتين دائمتين للتورات [١].

كلا، لم تكن الحية خبيثة إلى ذلك الحد. فنصائحها مبتورة ناقصة ولو كانت على قدر وأفٍ من الذكاء، لقالت لحواء: كلى من الثمر المحرم، ثم كلى فى اللحظة نفسها، من شجرة الحياة، فثمارها ليست محرمة عليكما[٢].

ويعلق الشيخ الباجى هنا بقوله: كيف يحس أن يقال: " فقالت الحية للمرأة ليس موتا تموتان، لكن الله يعلم أنكما يوم تأكلان منها تنفتح أعيذكما وتكونان كالآلهة تعلمان الخير والشر "؟ فكانت الحية التى هى من وحوش الأرض أعقل من آدم وحواء، وأفهم منهما وأعلم بحقائق الأمور، وبمراد الله تعالى منهما، مع تمام علم آدم، كما تقدم هذا فى قوله: " وخلق الله كل وحش الحقل، وكل طير السماء. وأتى بهم إلى آدم، لينظر ما يسميهم. وكل اسم اسماهم به آدم ولقب به نفساً حية، فهو اسماً " فاين هذا من ذاك ؟

فإن قيل: لعل الحية تكلمت بهذا عن جهل وادعاء للمعرفة. قلت:تمام الكلام يؤكد أن هذا عن علم منها، وجهل من آدم وحواء، وهو قوله: ووأعطت لبعلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما الاثنان، وعلما بأنهما عريانان [٣].

وأيضاً كيف يحسن أن يقال: " كالآلهة " ولم يعرف يومئذ إلا اله واحد. ولم يوجد إلى الآن كفر ولا شرك ولا تكثر فى المعبود.

،وايضاً: فكيف يحسن أن يقال:"تكونان كالآلهة تعلمان الخير والشر " أفكان آدم وحواء جاهلين، لايعلمان الخير والشر،مع تمام علم آدم كما تقدم ؟ ولو كانت الحية التى لم تأكل منها جاهلة بالخير والشر . وهذا كلامهما، وهذا علمهما كما تقدم . فإن قيل لعلها تكلمت بهذا لتعليم ابليس إياها، أو لأن ابليس من بين أنيبها تكلم به قلنا هذان، كلاهما خلاف ظاهر لفظ التوراة. على أنا تقول: كيف يصح تكلم الحية، وليست ناطقة [٤].

---

(١) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ليوتاكسبل /ص ٢٤ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق / ص٢٦ وما بعدها.
(٣) تكوين / ٣ / ٦- ٧.
(١)على التوراة / الشيخ الباجى / ص٣١ وما بعدها.

ويعلق د/ أحمد حجازى السقا هنا بقوله: إن الكاتب استبعد لسم الشيطان من توراة موسى، ليس فى اخراجه آدم وزوجه من الجنة، فحسب بل فى كل اصحاحات الاسفار الخمسة، ووضع بدله " الحية " فى العبرانية، و"الثعبان " فى السامرية. ولم يقل: ان الجنة هى دار الثواب التى أعدت للمتقين فى الآخرة، بل قال هى بستان فى "عدن " فى العبرانية. وفى السامرية قال: " وأقره فى جنات النعيم للعبادة وللحفظ " ولم يذكر أن الملائكة سجدت لآدم. فما سبب ذلك ؟ إما أن نقول: إن الكاتب نسى . وهذا احتمال بعيد فى هذا الموضع. لآن التوراة فى يده. وهو وزملاؤه، مجتمعون فى هذا الوقت لتحريفها . وأما أن نقول: إن الكاتب له غرض معين. وهذا مؤكد. أما أنه استبعد اسم الشيطان [١].من الاسفار الخمسة كلها. فذلك لكى لا يخيف اليهود منه، فيتصرفون بخسارة، ولا يهمهم بشىء. واستبعد " جنات النعيم " لينكر يوم القيامة بثوابه وعقابه. وانكاره يسهل على اليهود ظلم الأمم واستغلال الشعوب ويسهل عليهم ارتكاب الآثام. واستبق سجود الملائكة لآدم لان السجود معناه ان الجنس البشرى كله مكرم ومحترم. وهم لا يقولون بذلك، بل يقولون: إن بنى إسرائيل وحدهم من سائر الامم هم المصطفين الأخيار وكتبوا أن الحية أغوت آدم أو الثعبان. ليعرفوا اليهود أن يكونوا فى تصرفاتهم مع اعدائهم كالحيات. وهذا المعنى أشار إليه يحيى – عليه السلام – فى قوله لعلماء بنى إسرائيل: " يا أولاد الأفاعى "[٢].

أى يتصرفون بالتواء كتصرف الأفاعى أولاد الحيات.

ويعلق الشيخ الباجى على النصوص السابقة بقوله:

كيف أيضاً يحسن أن يقال: " ورأت المرأة أن الشجرة طيبة المأكل"[٣] مع أنها لم تأكل منها إلى الآن ولم تعرف طعمها ولا أنها طيبة أم لا ؟

وكيف يحسن أن يقال فأكل فنفتحت عينهما الأثنان وعلما بأنهما عريانان ؟ أفكانا أعميين قبل الأكل؟ أو منطبقى الأعين ؟ مع قوله قبل هذا: ورأت المرأة

---

(٢) ورد اسم الشيطان فى غير اسفار موسى فى أسفار،منها سفر أيوب، والمزمور المئة والتاسع وسفر زكريا. انظر هامش نقد التوراة / د/ السقا / ص ١٧٦.

(٣)انجيل متى / ٣: ٧.

(٤) تكوين ٣.٦.

أن الشجرة طيبة الأكل شهية لنظر العين، وحسنة المنظر" [١] فاين هذا من ذاك ؟ أم كانا جاهلين بأنهما عريانان " مع تمام علم آدم كما تقدم ؟ فأين هذا الجهل التام من ذلك العلم التام ؟.

فإن قيل: لعل المراد انفتاح أعين البصيرة، لا عين البصر ؟. قلت: هذا تأويل مخالف للظاهر، مع أنه لا يصح. لأن العاصى لا يناسبه ان يترتب على معصية، انفتاح بصيرته، بل المناسب أن تعمى بصيرته.

ويعلق ليوتاكسبل قائلاً: إنا نرى الاله التوراتى كائن جسدى تماماً ؛ فهو يتنزه وقت البرود،ويتحدث كأى إنسان آخر،إذاً، يقدم سفر التكوين إلهه لنا، كما تفعل الخرافات الوثنية. والحقيقة أن مختلف الشعوب القديمة كانت تملك تصورات متماثلة عن الآلة ككائنات تشبه البشر.

ويتساءل النقاد عن الصورة التى ظهرالله فيها لآدم، ثم لأولئك الذين كلمهم بفمه، فيؤكد الكنسيون أنها كانت صورة بشرية، ولم يكن لمثل هذا الأمر أن يكون ذلك قط،لأن الله "صنع الإنسان على صورته ومثاله " إذاً، ما الذى يميز التصور اليهودى لله، عن تصور الديانات الأخرى له،وهى الديانات نفسها، التى "وصمتها " المسيحية بالوثنية ؟ فالرومان، الذين أخذوا معتقداتهم عن الاغريق، لم يتصوروا الآلهة إلا فى صورة بشرية، الأمر الذى يرغمنا على القول: ليس الله هو من صنع الانسان على صورته ومثاله،بل الانسان هو الذى تخيل الآلهة على صورته ومثاله. بيد أننا لن نلح على هذا القرار،لأنه إذا سرت إلينا عدوى مثل هذه الرؤية، نكون قد حجزنا لأنفسنا مكاناً فى سعير جهنم. ولكن رغبتنا كبيرة لأن نذكر بملاحظة دوّنها أحد الفلاسفة [٢]

وتقول هذه الملاحظة " لو كان للقطط إله، لنسبت إليه الفئران [٣].

---

(١) تكوين ٣: ٦.

(٢) يبدو أن ليوتاكسبل يقصد هنا، الشاعر الفيلسوف الاغريقى القديم اكسينوفان [القرنان.٦ ٥ ق. م]، الذى انتقد علناً التصور الانثروبوموفى للإله. ص٥٢٨ من كتاب " التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ".

(٣) المصدر السابق / ص ٣٢.

ويقول الشيخ الباجى: كيف يحسن أن يقال: " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الفردوس عند المساء، فاختفى آدم وزوجته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الفردوس " ؟ (١).مع أن الرب الإله سبحانه وتعالى منزه عن الصوت، ماشياً وهم وإن جوزوا تجسده فى عيسى – عليه السلام – عند ظهوره ـ على معتقدهم . إلا أنهم يسلمون أنه فى الجنة لم يتجسد. وأيضاً: فإن آدم أذنب علما من أن يتوهم أنه يمكنه أن يختفى من الرب . سبحانه فى شجر الفردوس. وهذان السؤالان واردان بعينهما على قوله بعد هذا: " فقال: سمعت صوتك ماشياً فى الفردوس، فخفت،لأنى عريان، فاختفيت " (٢).

كيف يحسن أن يقال: " ودعا الرب الإله آدم، وقال له: آدم أين أنت ؟ " (٣) مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه.

وكيف يحسن أن يقال:" فقال له:من عرفك أنك عريان ؟ "

أكان آدم محتاجاً فى معرفة نفسه انه عريان، إلى من يعرفه بذلك ؟ ما على هذا فى الجهالة مزيد. ولا يتوهم فى حق آدم مثل هذا، بل ولا فى حق أجهل آحادنا نحن. والملاحظ فى النصوص السابقة أيضاً، أن المرأة هى التى وقفت فى حبائل الغواية، فأكلت ثم حملت زوجها على الأكل أيضاً، حيث يقول النص " وأعطت رجلها معها فأكل " وقد انعكس هذا التصور على علاقة المرأة بالرجل عبر التاريخ الإنسانى، فكان ينظر إليها على أنها هى الجانب الضعيف،وأنها مسكن الشيطان، الذى اتخذه لغواية الرجل وتضليله (٤).

فالمرأة فى التوراة ممثلة فى حواء التى قطفت الثمرة المحرمة وأكلت أولاً ثم أعطت آدم بعد ذلك،فهى أساس الخطئية، ثم أوردت زوجها الهاوية باشتراكه معها، وعلى ذلك فالمرأة أساس كل مصيبة وأصل كل غواية.

وجاء عن ذلك فى الموسوعة اليهودية:ـ

---

(٤) تكوين ٣: ٨.

(١) تكوين ٣: ٩.

(٢) تكوين ٣: ٩.

(٣) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٣٤ وما بعدها.

" المرأة تلعب دوراً أساسياً فى تقدم العصيان فى جنة عدن، وتصل الكراهية للمرأة إلى ذروتها فى وصفها بأنها الغاوية الشريرة التى تبحث عن غواية الشباب البرىء، وبالمثل فإن المرأة الغير مخلصة كانت رمزاً للمرتدة عن عقيدتها عند اليهود(١).

وفى كتاب الصلوات الرسمى:"بوركت ياإلهى يا من لم تخلقنى إمرأة "

والإيمان اليهودى الكامل بمعصية المرأة كان السبب الأساسى فى احتقارها حتى وضعها آباء الكنيسة بأنها " إبرق ملىء بالقاذورات وفمها ملىء بالدم، ومع ذلك يجرى وراءها الجميع "، "وأنها مصدر الغواية والإغراء " (٢).

عقاب المرأة والرجل فى الدنيا بعد الطرد من الجنة:

أ . عقاب المرأة:

يقول سفر التكوين: " أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولاداً، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك " (٣).

وهنا يعلق صاحب كتاب المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام قائلاً:

إن عقاب المرأة كان ثلاثى الأبعاد: تلد بالألم، ويقال: إنه أشد ألم وألذ وأسعد ألم، وطوال عمر البشرية لم نجد امرأة تخشى الولادة خوفاً من الألم، أما كون اشتياق المرأة للرجل فهو أيضاً ليس بعقاب، فذلك شهوة ولذة الجنس وحب البقاء، أما بالنسبة لتسلط الرجل على النرأة كعقاب فهو أمر قصد منه أولوية الزعامة والرياسة والتوجيه،أى القوامة.

---

(٤) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام / لذكى على السيد أبو غضة / ص٢٣ وما بعدها/ ط١ / ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م / دار الوفاء للطباعة والنشر.

(٥) المصدر السابق / ص٢٤ وما بعدها.

(١) تكوين ٣: ١٦.

وعلى ذلك، فعقاب المرأة لا يتناسب مع أول وأكبر خطيئة تسببت فيها . على حسب زعم التوراة الحالية [١].

ب . عقاب الرجل:

وتقول التوراة:" لأنك أذعنت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التى نهيتك عنها، فالأرض ملعونة بسببك وبالمشقة تقتات منها طوال عمرك. شوكاً وحسكاً تنبت لك، وأنت تاكل عشب الحقل.

يعرف جنبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض،فمن تراب أخذت، وإلى تراب تعود " [٢].

ويلاحظ أن عقاب الرجل أشد رغما عن أنه ليس أول من أخطأ فقد كُتب عليه المشقة والجهد والعمل ليحيا، وفى النهاية يموت ويدفن فى الأرض.

ولنا أن نتساءل: هل الرجل "الذكر" هو ما يموت فقط كعقاب له أما الأنثى فلا تموت ؟ !

وهكذا نقول: هذا ما جاء فى سفر التكوين حول المرأة، ولا ندرى الغاية التى حملت كاتب النص إلى ادخال الحية فى تشكيله، أو الغاية من تحميل المرأة وحدها وزر الخطيئة الأولى للجنس البشرى، لكن الواضح أن النص يشكو من التفاصيل الكثيرة والحوار الطويل، والركاكة البادية فى التراكيب، مما يشكك فى صحتة، وينفى عنه صفة [الكلام المقدس] فهو من كلام البشر العاديين وتراكيبهم.

والحقيقة إن تناول التوراة لموضوع " خلق المرأة "، يشبه دون شك، تلك الاسطورة السومرية التى تقول أن [أنكى] إله الماء، وزوجته [ننخرساج] آلهة الأرض، كانا يعيشان فى أرض [دلمون] النظيفة الطاهرة، ولاحد الأسباب غضبت آلهة الأرض على إله الماء غضباً شديداً، وابتلته بالأمراض والعلل، ثم لا تلبث أن ترأف به، وتبادر إلى علاجه[٣].

---

(٢) لزكى على السيد أبو غضة / ص ٢٥.

(٣) تكوين ٣: ١٨ ـ ١٩.

(١) المرأة فى الكتب المقدسة ـ قصة المرأة فى القرآن والانجيل والتوراة / لمحسن يوسف / ص١٤ وما بعدها / اللاذقية ١١ / ١٩٨٨ م.

ولعل الحوار الذى تقدمه الاسطورة، بين الزوجين يوضح ذلك:

ننخرساج: . ما الذى يوجعك يا أخى ؟

انكى: . ان فكّى هو الذى يؤلمنى

ننخرساج: . لقد اوجدت من اجلك الاله [ننتول]

ثم سَأله: . وما الذى يوجعك... يا أخى ؟

انكى: . إن ضلعى هو الذى يؤلمنى.

ننخرساج: . لقد أوجدت من اجلك الآلهة [ننتى]..

ويرى علماء اللغة السومرية أن كلمة [تى] تعنى أضلع أو احيا أو جعله حياً، وبهذا يصبح اسم ننتى: سيدة الضلع أو السيدة التى تحى، وهذه السيدة شبيهة بحواء التوراة التى اخذت من ضلع آدم، فهى سيدة الضلع، وهى حواء بمعنى التى تحى ":

والحقيقة أن ناسخى التوراة، استفادوا من التراث الكبير الذى قدمته لهم الحضارات السابقة، كالحضارة الفرعونية التى عاشوا فى ظلها، ونهلوا من معينها، ونطلقوا منها إلى فلسطين، مهد الحضارة الكنعانية التى كانت تبسط سلطانها فى تلك البلاد، إضافة إلى حضارات أخرى كالآرامية وحضارة أرض الرافدين، ونجد فى العهد القديم، مظاهر عديدة تشير إلى تأثيرهذه الحضارات فى معتقدات العبرانيين ومنها نظرتهم إلى المرأة التى هى عبارة عن تمثل واستيعاب لما جاءت به هذه الحضارات المتقدمة [١].

(٢) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام / لذكى على السيد أبو غضة / ص١٥ وما بعدها.

المبحث الثانى: خلق الإنسان فى القرآن الكريم "آدم وحواء "

أ. الإنسان غير البشر

وبعد أن تعرضنا لبيان قصة "آدم ،حواء " فى التوراة ووضحنا مدى ما وقع فيها من تحريف وأنها شبيهة بالأساطير القديمة، نتوقف مع القرآن الكريم ليكشف ويؤكد مدى الضلال والكذب والتحريف الذى وقعت فيه التوراة اليهودية عندما حاول كاتب التوراة فى "بابل "، أن يعيد صياغة القصة بأسلوبه، ويحذف منها ويزيد فيها ويغير، لأهداف يظهر أنها فى صالح أمته.

والحقيقة إن القرآن الكريم به العديد من السور التى تعرضت لخلق آدم – عليه السلام – ، والذى ذكر أسمه فى القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة فى خمس وعشرين آية وهاكم الآيات التى ذكر فيها:

البقرة: ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧.

آل عمران: ٣٣، ٥٩.

المائدة: ٢٧.

الأعراف: ١١، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، ١٧٢.

الإسراء: ٦١، ٧..

الكهف: ٥.

مريم: ٥٨.

طه: ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢.، ١٢١ . [1]

وكل هذه الآيات تدل على اعجاز القرآن الكريم فإن أبرع الكاتبين وأبلغ البلغاء إذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى

(١) قصص الأنبياء / عبدالوهاب النجار / ص ١٣ وما بعدها ونشر مكتبة دار التراث.

مع المحافظة على المتانة فى الأسلوب والبلاغة فى التعبير كما فى القرآن الكريم [١]. وقبل التعرض لهذه الآيات الكريمة أريد أن أنبه إلى أن خناك آيات كريمة توضح ويظهر منها أن الإنسان غير البشر حيث جاء فى "كتاب القرآن وقضايا الإنسان " [٢].

بأن استقراء مواضع ورود "بشر " فى القرآن الكريم، يؤذن بأن البشرية فيه هى هذه الآدمية المادية التى تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق. وفيها يلتقى بنو آدم جميعاً على وجه المماثلة التى هى أتم المشابهة.

وبهذه الدلالة، ورد لفظ البشر، اسم جنس فى خمسة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم، منها خمسة وعشرون موضعاً فى بشرية الرسل والأنبياء. مع النص على المماثلة، فيما هو من ظواهر البشرية وأعراضها المادية، بينهم وبين سائر البشر: .

قال تعالى " وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ " [٣].

وقوله تعالى " قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّـهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " [٤].

وهناك العديد من الآيات التى يمكن أن نضمها إلى الآيات السابقة منها هود ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨. الكهف ١١. المؤمنون ٢٤، ٣٣ . الشعراء ١٥٤. يس ١٥. فصلت ٦.

إن كلمة بشر جاءت فى القرآن الكريم بمعان أربعة:.

---

(٢) المصدر السابق / نفس الصفحة.

(٣) للدكتورة عائشة عبدالرحمن /بنت الشاطىء / ص ١٥ وما بعدها / دار المعارف ١٩٦٩ م.

(١) الأنبياء /٣.

(٢) إبراهيم/١..

الأول: البشر هو: الظاهر على كل الكائنات [وهو المعنى الأصلى]
مثل قوله تعالى " إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ "(١).فهو مخلوق ظاهر على المخلوقات بحسنه وجماله.

الثانى: المخلوق بإطلاق [وهو المعنى الأعم] مثل قوله تعالى " قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ "(٢).فبشر هنا تعنى أى مخلوق على الإطلاق.

الثالث: المخلوق غير المتميز [وصف سلبى] مثل قوله تعالى "فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٣).فقوم ثمود ينكرون أن يكون صالح بشراً متميزاً عنهم بل هو مثلهم.

الرابع: المخلوق المتميز[وصف إيجابى] مثل قوله تعالى " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ "(٤). فهو بشر متميز بالوحى الذى أنزل عليه من بقية الناس.

ومن الواضح أن المعنى الأصلى الحقيقى هو المعنى الأول، أما المعانى الثلاثة الأخرى فهى معان سياقية يمكن اعتبارها توسعاً فى استخدام المعنى الأصلى، (٥).

كما ذهب د/ عبدالصبور إلى أن بين " البشر والإنسان" عموماً وخصوصاً مطلقاً، فـ "البشر " لفظ عام فى كل مخلوق ظهر على سطح الأرض، يسير على قدمين، منتصب القامة، و"الإنسان " لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفاً بمعرفة الله وعبادته، فكل إنسان بشر، وليس كل بشر إنساناً والمقصود هو طبعاً المعنى الأول الذى استعملت فيه الكلمة [بشر] فى آيات القرآن، وهو الظاهر أو المتحرك مع حسن وجمال.

---

(٣) ص/٧١.
(٤) مريم/٢..
(٥) القمر /٢٤.
(٦) فصلت /٦.
(٧) أبى آدم / د/ عبدالصبور شاهين /ص ١.٣ وما بعدها.

وقد جاءت فى القرآن الكريم كلمة أعم من " البشر والإنسان ط وهى كلمة [الأنام] وتعنى كل مخلوق على ظهر الأرض عاقلاً أو غير عاقل، وإن كان المفسرون يرون أن الكلمة تعنى فى القرآن الكريم " وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ" (١). الجن والإنس، وهما الثقلان المخاطبان، كما هو وارد فى هذه السور المدنية.

وجاء أيضاً فى سورة [البينة] وهى سورة مدنية، وهى السور الحادية بعد المائة نزولاً . اطلاق لفظة [البرية] على [الخلق] والجمع: برايا، قال سبحانه وتعالى فى وصف الكافرين والمشركين:.

" أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ " (٢). وقال فى وصف المؤمنين.

" أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ" (٣).

ويقول المؤلف إنه يستطيع أن يقرر مع علماء الإنسان[الأنثروبولوجيين] أن الأرض عرفت هذا الخلق الذى ظهر على سطحها منذ ملايين السنين، تختلف فى تقديرات العلم بإختلاف عمر الأحافير، ونتائج التحليلات العلمية. وقد أطلق العلماء على هذا المخلوق خطأ أو تجاوزاً لقب: [إنسان] فقالوا: إنسان بكين، أو إنسان جاوة، أو إنسان كينيا أو ما سوى ذلك من الإطلاقات التى تعنى مراحل تكوين "البشر " بإطلاق القرآن، واستخدام كلمة [إنسان] فى وصف هؤلاء ليس إلا على سبيل التوسع، كما استخدمت كلمة [بشر] للدلالة على معنى [الإنسان] توسعاً أيضاً وإلا فاللفظ الدقيق بلغة القرآن، والذى ينبغى أن يستخدم فى تسمية تلك المخلوقات العتيقة التى تدل عليها الأحافير . هو [البشر]، فوجب أن يقال: بشر بكين، وبشر جاوة، وبشر كينيا، وبشر النياندارتال..... إلخ.

أما الإنسان فلا يطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذى يبدأ بوجود آدم – عليه السلام – وآدم على هذا . هو[أبو الإنسان] وليس [أبو البشر] ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله،

(١) الرحمن / ١..
(٢)البينة / ٦.
(٣)البينة / ٧.

تمهيداً لظهور ذلك النسل الآدمى الجديد. اللهم إلا تلك العلاقة العامة أو التذكارية، بإعتباره من نسلهم.

ولأمر ما وجدنا أن القرآن الكريم لا يخاطب البشر... بل يخاطب الإنسان، والتكليف الدينى منوط بصفة الإنسانية، لا بصفة [البشرية] فلم يعد البشر القديم وجود منذ ظهر آدم – عليه السلام – وتناسلت ذريته، وورثت الأرض وما عليها.

ولأمر ما أيضاً وجدنا أن كلمة [البشر] جامدة لا تتصرف ؛ اللهم إلا بالتثنية والجمع فى قليل الاستعمال، على حين أن كلمة [إنسان] متصرفة مرنة، وردت فى القرآن بصور مختلفة، وهى مفرد،جمعه: أناسين، وأناسى، وقد استعمل مصغرا ًفقيل: أنيسيان، والإنس:اسم جماعة الناس، والجمع أناس، والواحد: إنسى. والناس: اسم جمع من النوس، وهو الحركة.. واحده. إنسان من غير لفظه، ويقال للمرأة إنسان، ولا يقال:إنسانة، وإن شاعت على ألسنة العامة. وكل ذلك أكسب الكلنة مرونة فى الاستعمال (١).

ومن هنا يرى د/ عبدالصبور أن الإنسان يخرج من البشر، وأنه [قبل التسوية] لم يكن المخلوق البشرى إنسان بل كان مشروع إنسان فى حيز القوة قبل أن يكون إنساناً فى حيز الفعل..

وقد استدل المؤلف بالعديد من الآيات التى يراها تشهد لرأيه. من ذلك إشارة إلى قوله تعالى " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ " (٢).

ويقول فى بيان وجه استدلاله بها: وكأن الآ ية تدفع عن العقل احتمال إدماج العمليتين فى عملية واحدة، فالإنسان خلق من [سلالة] نسلت [من طين] أى: إنه لم يخلق مباشرة من الطين، فأما ابن الطين مباشرة فهو [أول البشر] وكان ذلك منذ ملايين السنين. ثم يشير المؤلف إلى قوله تعالى فى سورة السجدة: يقول الله تعالى " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " (٣).

---

(١) أبى آدم / د/ عبدالصبور شاهين /ص ١٠٤ وما بعدها.
(٢) المؤمنون / ١٢.
(٣) السجدة / ٧- ٩.

فخلق الإنسان [يدأ من طين] أى: عند البداية البشرية، ثم استخرج الله منه نسلاً [من سلالة من ماء مهين] ثم كانت التسوية ونفخ الروح، فكان [الإنسان] هو الثمرة فى نهاية المطاف.. عبر تلكم الأطوار التاريخية السحيقة العتيقة.

ويتحدث الكاتب أيضاً فى سياق الشرح عما يسميه [مراحل التسوية] مستدلاً بآيآت منها قوله تعالى " ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" (١).

حيث يقول: إن هذا الجعل قد تم خلال مراحل التسوية " وإن الله تعالى . جعل للبشر هذه الأدوات فى مراحل التسوية المتعادلة حيث شاءت القدرة أن تزود هذا المخلوق البشرى بما يحتاج إليه من أدوات الكمال.

وأضاف المؤلف: إن خلق الإنسان قد تم عبر ثلاث مراحل هائلة... هى: الخلق،التسوية، النفخ.. وأن مرحلة الخلق الأول "هى التى أحالت التراب ـ أو الطين . إلى مخلوق ظاهر "بشر " يتحرك على الأرض بالروح الحيوانى،كما تتحرك سائر الكائنات. ثم تناولت القدرة ذلك المخلوق فى المرحلة الثانية بالتسوية أو ما يمكن تشبيهه بهندسة البناء وتجميله، وهى مراحل التعديل المادى أو الظاهرى، وقد استغرقت ملايين السنين، والله أعلم بتفاصيلها ثم جاءت المراحلة الثالثة، وهى المتمثلة فى تزويد المخلوق السوى بالملكات والقدرات العليا التى جوهرها [العقل].. وبذلك اكتمل مشروع بناء [الإنسان] فكان[آدم] هو أول [الإنسان] وطليعة سلالة التكليف بتوحيد الله وعبادته (٢).

ويرى الؤلف أيضاً:إنه ليس غريباً أن نتصور بناء على هذا . أن آدم حاء مولوداً لأبوين (٣) وأن حواء جاءت كذلك، على الرغم مما سوف يلقى هذا التصور من معارضة تلقائية، ورفض عنيف !! وبلا تفكير !!

فهو يرى أن هذا التصور لا يتصادم مع حقيقة خلق الإنسان من طين، ذلك أن الخلق الذى بدأ منذ ملايين السنين بالجسد الطينى . كان هدفه النهائى والوحيد

---

(٤) السجدة / ٩.

(١) أبى آدم / د/ عبدالصبور شاهين /ص ١١١ وما بعدها.

(٢) ذكر الشيخ رشيد رضا أن وثني الهند يزعمون أن لآدم أما،ولها فى مدينتهم المقدسة [نبارس] قبر عليه قبة بجانب قبه قبره / المنار /جـ٨ / ص٣٠٨.

خلق [آدم] وكل ما مضى من أحداث بين التاريخيين . إن كان ثمة تاريخ . إنما هو وقائع بناء جسد آ دم، وعقله، وروحه، وملكاته، وخصائصه، وقد تم ذلك كله فى غيبوبة الزمان، حيث استوى الصفر والمليون، فما هى إلا سِنة استمرت بضعة ملايين من السنين حتى استوى الإنسان..[آدم] الذى نبت فى التراب، وانبثق من الأرض، لقد تبددت الأحداث والوقائع، ولم يبق منها سوى الحقيقة الترابية.

وهو تصور ليس غريباً، ولا بعيداً عن الوقائع الذى قرب القرآن . مثلاً عن الآخرة حين قال:" كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا " (١)..

أى إن الزمان قد انطوى، وسقطت فى جُبة كل الأحداث مهما تعاظمت،واستغرقت مئات السنين، وهو كذلك ما كرره القرآن فى قوله تعالى " قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ. قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " (٢).

وبهذا تكون الحقيقة الترابية اثبت الحقائق وأبرزها فى وجود كل مخلوق يدخل فى مضمون [أنا . ونحن . وأنتَ . أنتِ . وأنتما . وأنتم . وأنتن . وهو . وهى . وهما . وهم . وهن]. وخبرها جميعاً [من تراب]: كقوله تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ " (٣).

وبعد العرض السابق لآراء الدكتور / عبدالصبور شاهين نريد أن ننبه إلى بيان حقيقة هامة وهى أن هذه الآراء السابقة قد تعرضت للنقد من قبل اللجنة العلمية التى شكلها مجمع البحوث الإسلامية حيث قررت اللجنة أنها لا توافق على التأويلات التى أول بها د/ عبدالصبور شاهين . بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وعلى الأخص ما أشار إليه من أن آدم – عليه السلام – يمكن أن يكون قد خلق من أبوين، وما انتهى إليه فى شأن العلاقة بين البشر والإنسان (٤) كما أنها لا تقره على بعض التعبيرات التى استخدمها فى سياق

(٣) النازعات / أية / ٤٦.
(٤) المؤمنون / ١١٢/ ١١٤.
(٥) الحجر / أية / ٢٦.
(١) أبى آدم / د/ عبدالصبور شاهين /ص ١١١ وما بعدها.

تدليله، والتى ترى اللجنة أنها غير لائقة فى وصف المشيئة الإلهية فى أمر الخلق.

ب . الإنسان

إن الإنسان ليس مناط إنسانيته، فيما نستقرىء من آيات البيان المعجز، مجرد كونه منتمياً إلى فصيلة الإنسان [١] كما أنه ليس مجرد بشر يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق. وإنما الإنسانية فيه ارتقاء إلى الدرجة التى تؤهله للخلافة فى الأرض واحتمال تبعات التكلف وأمانة الإنسان، لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل والتميز، مع ما يلابس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر، وفتنة الغرور بما يحسن من قوته وطاقته، وما يزدهيه من الشعور بقدره ومكانته فى الدرجة العليا من درجات التصور ومراتب الكائنات.

بحيث ينسى فى نشوة زهوه وكبرياء غروره،أنه المخلوق الضعيف الذى يعبررحلة الدنيا من عالم المجهول إلى عالم الغيب، على الجسر المفضى إلى حفرة من تراب: كما فى قوله تعالى " أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى " [٢]. هذا ولقد ورد لفظ "الإنسان " فى القرآن الكريم، فى خمسة وستين موضعاً، إذ أتدبرناها عرفنا من خللها ما يميز الإنسانية عن غيرها.

ونبدأ بسورة العلق، أول ما نزل من كتاب الإسلام، وفيها يمكن أن نجتلى الملامح العامة للإنسان، وقد تكرر ذكره فى هذه السورة الأولى

ثلاث مرات:.

إحداها:تلفت إلى آية خلقه من علق.

والثانية: تشير إلى اختصاصه بالعلم.

والثالثة: تحذر مما يتورط فيه من طغيان، حين يتماده به الغرور فيرى أنه استغنى عن خالقه.

(٢) الرحمن:٤، و الحجر ٢٦.

(٣) النجم: ٢٤، ٢٥.

قال تعالى " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ.الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى. إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى " (١).

هذه هى السمات المجملة للإنسان، كما بدْت فى السورة الأولى من القرآن. ثم تتابعت الآيات من بعد ذلك تزيدها جلاءً وبياناً، بما تضيف إليها من إضاءة كاشفة لدقيق الملامح وخفى النوازع. وقد تكررت الإشارة إلى خلق الإنسان من علق، أو من تراب ومن نطفة ثم علقة، فى آيات كثيرة (٢).

وآيات خلق الإنسان، جاءت كلها فى سياق العظة والاعتبار، لافته إلى أطوار الجنين البشرى التى يدركها الناس بأيسر ملاحظة وانتباه.

ويبدو فى الآيات العمد الواضح إلى الاستدلال بها على القدرة الإلهية على البعث منها: .

قوله تعالى " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ " (٣).

وهناك العديد والعديد من الآيات يفهم منها مدى القدرة الإلهية على البعث (٤).

جـ . خلق آدم وحواء فى القرآن الكريم

أولاً: آدم

وهنا نتوقف مع قصة خلق آدم فى القرآن الكريم ذلك المرجع المعتمد فى الكتب الثلاثة التى تنسب إلى السماء لأنه آخرها ولأنه ثبت عدم تعرضه للتحريف ولأنه دُون فى عصر الرسالة بعكس الكتب الأخرى، ولأنه يعترف بالأديان الأخرى قبل وقوع التحريف فيها.

ومن أبرز خصائص النص القرآنى وبخاصة فيما يتعلق بالقصص أنه لا يُعَرّف بالشخصيات التى يدور حولها الكلام، كما أن النص يتجرد من

(٤) العلق: ١ـ ٨.

(١) القرآن وقضايا الإنسان د/ عائشة عبدالرحمن / ص ٢. وما بعدها بتصرف يسير.

(٢) الطارق / ٥ ـ ٨.

(٣) عبسى / ١٧:٢٢، الإنسان ٢:٣ يس / ٧٧: ٧٩، القيامة

الزمان والمكان، بالاضافة إلى أسلوب الإيجاز التام الذى لا نجد له نظيراً فى الكتب وأثار الأمم الأخرى التى بين أيدينا، ويتوج ذلك كله وحدة الغاية فى كل ما ورد فى القرآن الكريم من أخبار وأنباء [١].

والقرآن الكريم نزل فى عصر لم يكن الناس فيه يعرفون عن مبدأ خلق الإنسان شيئاً ذا بال، فقد كانت معلوماتهم عن هذا الموضوع خليطا من معطيات الأديان السابقة ومن الأساطير الشعبية، ولم تتعد وصفاً لخلق الإنسان الأول [آدم] من التراب، ثم تحويل أحد أضلاعه إلى امرأة له سماها:[حواء].

فلو كان القرآن الكريم ظاهرة اجتماعية، لانعكس فيه ما يتناقله الناس فى المجتمع عن هذا الموضوع، ولو كان ظهوره خاضعاً لتطور الفكر البشرى، لصبت فيه روافدا الثقافة الإنسانية التى ترعرعت فى المجتمعات السابقة عليه،ولبنيت تصوراته عن الخلق الأول على أنقاض الأفكار التى تناقلها الناس عبر مسيرة المجتمعات البشرية، فصار اعتماده فيما لايقع عليه الحسى، أو يخضع للتجربة المتاحة فى هذا العصر على ما تناقلته الأجيال قبله، ولكنه جاء مخالفا لكل هذه المقاييس العادية، ومناقضا لقانون الفكر الذى يؤكد: أن اللاحق لابد وأن يحوى فى طياته معالم وسمات السابق، فلم يتحدث عن تراب جاف خلق منه آدم، ولم يخبر بأن حواء خلقت من ضلعه، بل أخبر عن الخلق بأسلوب لا يثير التساؤلات التى قد لا يفيد الخوض فى تفاصيلها شيئا، وليس من الحكمة إخبار الناس بكل دقائقها، لأن وضعهم الفكرى لم يكن يمكنهم فى ذلك الوقت من استيعابها، أو الاحاطة بها، وفى الوقت نفسه جاءت صياغة لعملية خلق الإنسان الأول على نحو لايمكن أن يقف حجر عثرة فى سبيل النتائج العلمية التى توصل إليها العلماء حديثا فى هذا المجال، بل اعتقد أنه لن يكون عائقا لعملية المزيد من البحث العلمى عن أسرار خلق الإنسان وتطوره [٢].

---

(٤) الإسرائيليات فى تفسير الطبرى دراسة فى اللغة والمصادر العبرية د/ آمال محمد عبدالرحمن ربيع / ص ١٤١ وما بعدها.

(١) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٢٩وما بعدها / ط ـ ١٩٨٨ م.

ولعل ما وضحناه سابقاً من رواية سفر التكوين عن قصة الخلق يوضح مدى الفارق بين الأسلوب القرآنى وبين غيره من أساليب الكتب الأخرى، ولذا أردنا هنا أن نركز على النص القرآنى دون التعرض لما خاض فيه المفسرون من تفصيلات لكيفية خلق آدم من تراب أو طين، حتى لانلزم القرآن الكريم بالتأويلات التى قال بها المفسرون [1].والله تعالى لم يقصر الخلقة من تراب أو من طين على آدم وحده، بل يستوى فى ذلك الناس جميعاً، خلقهم تعالى من تراب، أو من طين لازب، نشهد ذلك على أن مادة الإنسان ترابيه، وهو ما لا نزاع فيه. فماذا قال القرآن الكريم عن خلق الإنسان الأول ؟

تحدث الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم عن هذا الموضوع فى أيات عديدة، بأساليب مختلفة، منها ما جاء فى سورة البقرة، وسورة الأعراف، ونلاحظ فى السورتين تطابقاً فى المفردات والمعنى تقريباً، حيث تتلخص قصة آدم فى أنه تعالى أخبر ملائكته بأنه سيخلق بشراً من طين ويجعله له خليفة فى الأرض، وأمرهم اذا سواه ونفخ فيه من روحه أن يقعوا له ساجدين سجود تكريم بالطبع لا سجود عبادة لأن الله لا يأمر أحداً أن يتوجه بالعبادة إلى سواه . وبعبارة أخرى كان ذلك احتفالاً بتمام تكوين آدم بشراً سوياً.

سوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون [متغير] حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً [يصل إذا ضرب] كالفخار نفخ فيه من روحه فإذا هو انسان

(٢) ولعلنا حين تقول هناك تأويلات قال بها المفسرون يجب أن لانُلزم القرآن الكريم بها، لاتقولها رجماً بالغيب أو جزافاً، فالحقيقة أن هناك بعض المفسرين وعلى رأسهم ابن جرير الطبرى الذى أخذ عليه العلماء العديد من المآخذ على منهجه فيما يتعلق برواية الإسرائيليات والخرافات والمبالغات، حيث حشد الطبرى فى كتابه أقوالاً لا نفع من وراء ذكرها، بل لا ترتبط على الاطلاق بمفهوم الآية، ناهيك عن رفض العقل والذوق لها. والحقيقة إن الاعجاز القرآن، لم تتحمله بعض العقول، ولم تدرك حكمته فكان المدخل الذى ولجت منه الاضافات المأخوذة من الإسرائيليات، وبهدف استكمال ما تتوق إليه النفس البشرية من تفاصيل لا فائدة منها سوى اشباع الرغبة فى معرفة المزيد من الأخبار، على ما نجد عند الطفل حالسماعه قصة مثيرة.

أنظر: الإسرائيليات فى تفسير الطبرى دراسة فى اللغة والمصادر العبرية د/ آمال محمد عبدالرحمن ربيع / ص ١٤١ وما بعدها.

حى من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك بإرادته ويدرك فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وأبى أن يسجد استكباراً ونسب إلى الله الظلم فى أمره بالسجود لآدم وقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فطرده الله من الجنة وهنا نتوقف مع الآيات الكريمة بادئين بقوله تعالى " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ " (١).

ومعنى الخلافة عن الله فى الأرض أنه سيكون له سلطان عليها متصرفاً فى موادها ليجعلها ملائكة لحاجاته.

والآية الكريمة ومعها آيات خلق آدم، صريحة فى أنه مسبوق بأنواع أخرى غير بشرية، منها هذه الملائكة التى لا تدرى كنهها ولا يأذن لنا العلم فى أن نخوض فيها، وهى من الأمور الميتافيزيقية التى لا تخضع لمجال إدراكه، وتجربته.

وكذلك لا يأذن لنا الدين أن نقول قيها، بأكثر مما تلاه علينا كتاب ديننا (٢).

وقد يظن القارىء لهذا السؤال أن الملائكة قاموا بمظاهرة أمام الله واحتجوا عليه لاستخلافه آدم فى الأرض فيقول: " كيف يكون هذا منهم وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ؟

والذى نفهمه أن شيئاً من ذلك لم يحصل ولكن خواطر خطرت بأنفسهم وهى تشقهم لمعرفة الحكمة فى استخلاف ذلك المخلوق الذى من شأنه تلك الأشياء: ومعرفة السر فى تركهم من هذا الأمر وهم المجبولون على تسبيحه وتقديسه . فأراد الله أن يعلمهم بالعمل أنه أودع فيه من السر والقدرة على وضع أسماء الأشياء ما لم يودعه فيهم (٣).

وقيل إن الملائكة لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن فى بنى آدم من يفسد فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها فعمموا الحكم بالفساد والمعصية فقال الله لهم: إنى أعلم ما لا تعلمون، وحقق ذلك سبحانه بأن علّم آدم الآسماء كلها وكشف

(١) البقرة/أية / ٣..
(٢) القرآن وقضايا الإنسان / د/ عائشة عبدالرحمن / ص ٣٣ وما بعدها.
(٣) قصص الأنبياء / د / النجار / ص ١٦ وما بعدها.

للملائكة عن مكنون آدم الذى علمه له ويحتمل أن يكون بالإلهام أو بواسطة ملك وهو جبريل – عليه السلام – ولولا أن الله كشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة (١).

والواضح من تعليق الملائكة على إخبار الله لهم، بأنه سيجعل فى الأرض خليفة، أنهم كانوا على علم ودراية بما يمكن أن يحدثه هذا المخلوق من فساد فى الأرض. ولم ينف الله إمكان حدوث الفساد منه، بل رد عليهم رداً له مغزى كبير فى مجال التربية الإنسانية ؛ ذلك أنه بين لهم أنه يعلم ما خفى علمه عليهم، وهو أن التعليم والثقافة من العوامل التى يمكن أن تحد هذا الفساد، أو تقاومه، فلا تترك له السيطرة الكاملة على حياة الإنسان، يشير إلى ذلك قوله تعالى " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" (٢).

فقد وضع تفوقه عليهم فى العلم،ردا على سبب اعتراضهم على خلقه بأنه سيفسد فى الأرض والذى يفهم أنه تعالى علمه جميع الأشياء التى فى جنة عدن وألهمه وأقدره على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك من زروع وأجزائها وأشجار وثمار وفروع وورق ولب ونوى وجميع الأوعية والأدوات التى هناك وجميع ما فيها من حيوان وأجزائه لاحتياجه إليها (٣).

ومعلوم أن معرفة آدم لهذه الأشياء فى طعامه وشرابه وسائر ما يتلذذ به فى تلك الدار أمر طبيعى بخلاف الملائكة فإنهم لا يحتاجون إلى شىء من ذلك لأنهم لا يحتاجون إلى طعام ولا إلى شراب ولا يباشرون شيئاً من هذه الأشياء فكان علمه بها أمراً معقولا صحيحا إذ الحاجة تفتق الحيلة وفى قوله تعالى " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن

(١) حقيقة الإنسان / د / عيسى عبده، أحمد إسماعيل يحيى /ص ٧٦.
(٢) البقرة/أية / ٣١ / ٣٣.
(٣) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٦.وما بعدها / ط ـ ١٩٨٨ م بتصرف يسير.

كُنتُمْ صَادِقِينَ " الاشارة للمرئى الحاضر. وتكلف أنه صور له ما كان وما يكون وأشار إليه تحميل للأية ما لا تحتمله [١].

ثم إن الله تعالى عرض على الملائكة المسميات [٢]وطالبهم باسمائهم فلم يعلموا ما يجبيون. وقالوا " سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا " فقال تعالى " قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ " ففعل. وقال للملائكة " أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ "[٣].

ويعلق د / النجار هنا بقوله:

وقد يبالغ بعض الناس فيزعم أن الله تعالى علم آدم كل شيء كان ويكون وعرض صور هذه الأشياء ما كان موجوداً وما سيوجد، وأن آدم سمى كل شيء باسمه. وهذه مبالغة غير مقبولة لا أميل اليها، بل أميل إلى أنه سمى الشياء التى وقع عليها حسه ومنها الطيور والبهائم وكل أنواع الحيوان الموجودة هناك ولا يخفى أن استخلاف آدم فى الأرض يشتمل على معنى سام من الحكمة الإلهية التى خفيت عن الملائكة. فإن الله تعالى لو استخلف الملائكة فى الأرض لما عرفت أسرار هذا الكون وما أودع فيه من الخواص والعلوم الغزيرة. فإن الملائكة ليسوا بحاجة إلى شيىء مما فى الأرض إذ هم على وصف يخالف وصف الإنسان فما كانت السفن لتصنع ولا تزرع الأرض بمختلف الزروع والغراس. وما وجد منها لا يهتم أحد بمعالجته واستخرج خباياه فلا تعرف الاطياب ولا خواص الأشياء ولا المركبات الكيماوية ولا الفوائد الطبيعية ولا الفلكية ولا المستحدثات الطبية ولا الطبائع النفسية ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التى تفنى السنون ولا يدرك الإنسان لعلم منها نهاية فسبحانه وتعالى عزيز حكيم [٤].

---

(٤) قصص الأنبياء / د /عبدالوهاب النجار / ص ١٧ وما بعدها.
(٥) تفسير الفخر الرازى / جـ٢ / ص ١٩٢، قصص الأنبياء / ص١٨.
(٦) البقرة / أية / ٣٣.
(١) قصص الأنبياء / د /عبدالوهاب النجار / ص ١٨ وما بعدها.

وتمضى الآيات القرآنية فى الحديث عن آدم – عليه السلام – حيث نجد القرآن الكريم يقول: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ "(١).

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية: أن الله تعالى يخبر عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم – عليه السلام – خلقه الله تعالى من صلصال من حمأ مسنون... وقال ابن جرير إنما سمى آدم طينا لأنه مخلوق منه. وقال قتادة استل آدم من الطين وهذا أظهر فى المعنى وأقرب إلى السياق فإن آدم – عليه السلام – خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ"(٢). وجاء عن أبى موسى عن النبى . ﷺ . قال:" إن الله خلق آدم من قبضة من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك " وقد رواه أبو داود والترميذى من طرق عن عوف الأعرابى به نحوه (٣).

ويعلق د/ محمد شامه هنا على الآية السابقة بقوله، إن القرآن الكريم وإن ذكر التراب فى آية أخرى، إلا أن هذه الآية تشير إلى أن التراب لم يكن جافاً،لأن الجاف ليس مقراً لحياة، ولا يخرج منه كائن حى، فقد أثبتت التجارب أن الجفاف يقتل الكائنات الحية، وصدق الله إذ يقول: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"(٤).

فالقرآن الكريم لم يذكر أن الإنسان خلق من تراب فقط، بل من طين . وهو التراب الذى اختلط به الماء . وكان هذا سبباً فى أن بعض المفسرين حاول أن يفسر هذه الآية على أنها إشارة إلى ما توصل إليه العلم الحديث عن مبدأ خلق الكائنات الحية، فقال فى تفسير قوله تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ"(٥).

---

(٢) المؤمنون / أية / ١٢.
(٣) الروم / أية / ٢..
(٤) تفسير ابن كثير / جـ٣ /ص٢٤١.
(١) الأنبياء / أية / ٣..
(٢) المؤمنون / أية / ١٢.

إن الانبثاق من الطين درجة درجة وخطوة خطوة، من الأميبيا إلى الأسفنج، إلى الحيوانات الرخوة،إلى الحيونات القشرية، إلى الفقريات، إلى الأسماك، إلى الزواحف، إلى الطيور، إلى الثدييات، إلى أعلى مرتبة الآدمية بفضل الله وهدية ،إرشادة.

وعندما واجهه المفسرون التقليديون بأن هذا يطابق نظرية داروين التى عارضها كثير من العلماء، وأوردوا عدداً من الأدلة على عدم صحتها، أجابهم بأن رأيه يختلف عن داروين، ذلك أن التطور عند داروين جاء نتيجة الحوافز الذاتية، أما ما ارتضاه هو من تفسير لهذه الآية، فهو أن التطور الذى ذهب إليه، هو ما كان بهدى الله وإرشاده. ولكن العلماء رأوا . على الرغم من حجته . أن تفسيره لخلق آدم فى القرآن الكريم بهذه النظرية . ولو مع تعديلها بما ارتضاه هو ـ مجازفة خطيرة، لأن هذه النظرية يعارضها كثير من الفلاسفة وعلماء الأجناس، ويَسِمُونها بالفساد، بل يقول بعضهم بجنون قائلها [1].

وسوف أتعرض لنظرية التطور عند داروين عند الحديث عن قضية الخلق والاستدلال بها على وجود الله.

ومما لاشك فيه أن مثل هذا الرأ ى . وإن كان باطلاً وفاسداً فى نظر جمهورة المفسرين ـ يشير إلى أن صياغة القرآن الكريم لمثل هذه القضايا . التى لم تتضح بعد بصورة مؤكدة، ولم يكشف العلم عن حقائقها بعد بصورة قاطعة .

تمثل جانبا من جوانب الإعجاز فيه، لأن فى استطاعة كل المستويات الفكرية، وكذلك كل إنسان على امتداد التاريخ الفكرى، أن يوجه النص طبقاً لمعلوماته وثقافته فى هذا المجال، بل ربما يتحمل النص ما سوف يتوصل إليه العلماء فى المستقبل، ولا يدل هذا على نقص فيه، بل على أن من صاغه يملك من القوة الفكرية ما لا توجد عند أحد من المخلوقات البشرية ولا يتصف بهذه القوة إلا الله سبحانه وتعالى، فهو القادر وحده على التعبير بأسلوب يصلح لكل زمان

(٣) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٣.وما بعدها / ط ١٩٨٨ م.

ومكان، دون أن يعتريه خلل أو يتطرق إليه وهن، وصدق الله إذ يقول:" قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"(١).

وغنى عن البيان أن كتاباً هذا شأنه، لا ينبغى الشك فيه، أو الارتياب فيما احتواه من معلومات، يقول تعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"(٢).

وأيضاً من القضايا التى جاء الحديث فيها عن آدم، فى القرآن الكريم

قوله تعالى " إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ"(٣).

والحقيقة إن الله تعالى حينما ذكر هذه القصة، ما ذكرها، إلا ليبين للناس أنه خلقهم من عدم، إذ سوى أصلهم آدم من طين ـ وفى موضع آخر من تراب . والطين لا قيمة له فى هذه الحياة، فإذا صار إنساناً سويا يفكر ويحسن، ويكون له تأثير فى مجالات الحياة المختلفة، فما ذاك إلا لما أضافه الله من عنده إلى هذه المادة المبتذلة بما صيرها إنسانا على هذا النحو، فينبغى أن يفكر المرء فيمن حول هذه المادة إلى هذه الصورة التى لها إرادة وإحساس، وتتمتع بقوة لها تأثير كبير على ما يشيد ويبنى على سطح هذه الكرة الأرضية، وفى محيطها الملاصق لها. لقد نفحها الله شيئاً من ذاته: قال تعالى " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"(٤).

فتسوية الله له بيديه، ونفخه فيه من روحه، يعتبرا امتداداً له، وأثراً مباشراً من آثاره، ولذا ينبغى على الإنسان أن يسعى إلى الكمال، لأنه مصدره، ويعمل الخير، لأنه نفخه منه، ويتجنب الشر لأن الله ـ الذى هو من روحه ـ لا يرضاه، ولا يقره، وبذلك يكون تذكير الإنسان بأصله دعوة غير مباشرة له إلى أن يسلك

(١)الزمر / أية / ٢٨.
(٢)البقرة / أية / ٢.
(٣) ص / ٧١ ـ ٧٨.
(٤) ص / ٧٢.

فى حياته سلوكا طيباً، وأن يسعى فى الأرض سعيا حسنا، فلا يفسد شيئا، ولا يؤذى أحداً، بل يعمر ما وسعت قدرته على ذلك، ويعطف على أخيه الإنسان، ويساعده،مهما اختلفت الأجناس، وتباعدت الأوطان، لأنهم من أصل واحد وهو آدم – عليه السلام – (١).

وأمر الله للملائكة بالسجود له إشاررة إلى مكانته فى هذه الحياة، حيث يكون سيداً على ما عداه فى هذا الكون، يتحكم فيه، فيسخره لمنفعته،

يقول تعالى " وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(٢).

هذا ولقد أجمع المسلمون على أن ذلك السجو وليس سجود عبادة لأن سجود العبادة لغير الله كفر والأمر لا يرد بالكفر، فهذا السجود تكريم من الله لآدم لا سجود عبادة، إذ نص القرآن القطعى قد تكرر بأنه لا يعبد إلا الله وحده، أو هو بيان لاستعداد آدم وذريته وما صرفهم الله تعالى به من قوى الأرض التى تدبرها الملائكة بأسلوب التمثيل القصصى،والأمر فيه وفيما بعده تكوينى قدرى، لا تكليفى شرعى، فهو كقوله تعالى فى خلق السموات والأرض.

" فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"(٣).

وقد روى عن ابن عباس أن هذا السجود كرامة كرم الله بها آدم. وقال: كانت السجدة لآدم والطاعة لله. ومثله عن قتادة، وزاد أن إبليس حسد آدم على هذا التكريم، والدليل على أنه تكريم امتحن الله تعالى به طاعة ذلك العالم الغيبى له فظهرت عصمة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفسق إبليس، قوله تعالى حكاية عن إبليس فى سورة الإسراء:

" قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً"(٤). حسده على هذا التكريم فحمله الحسد على الأستكبار والفسوق عن أمر الله كما صرحت به الآيات المختلفة فى البقرة والكهف (١).

---

(٥) انظر فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٣.وما بعدها / ط ١٩٨٨ م.
(١) الجاثية / ١٣.
(٢) فصلت / أية /١١.
(٣)الإسراء/ أية /٦٢.

وهناك أيضاً العديد من الآيات ورد فيها ذكر آدم – عليه السلام – وذلك حينما أخبر الله آدم أن يسكن الجنة بعد ان خلق حواء وسوف أتعرض لهذه الآيات أثناء الحديث عن خلق حواء لتضح من خلالها مدى الفرق بين كتاب الله العزيز وبين ما جاء فى المصادر الدينية المجهولة المصدر،

ثانياً: خلق حواء

لم يرد اسم حواء نهائياً بالقرآن الكريم، ولكن وصفت بزوجة آدم – عليه السلام – فقال تعالى فى خلقها: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(٢).

ومن الآية تبين أن آدم خلق أولاً ثم خلقت منه حواء، فالأصل آدم. ولذلك فحق القيادة للأصل وهذا أمر مقبول عقلاً ومشاهد موضوعا ومما يؤكد ذلك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ولم تكن قد خلقت منه حواء حيث قال تعالى " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ . وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ "(٣).

فهنا الأمر بالسجود كان بمجرد اكتمال خلق آدم وبعد نفخه الروح فيه ودليل ذلك قوله تعالى " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"(٤).

إذن حواء لم تكن خلقت بعد، وأكد الحق تبارك وتعالى ذلك فسأل إبليس عن عدم سجوده لما خلق من طين فكانت الإجابة:" قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ"(٥).

ومن ذلك يتضح أنه لم تنشأ علاقة كراهية وبُغض وحسد بين حواء والشيطان بل كانت بدايتها بين آدم والشيطان الرجيم، كما يلاحظ أن شرف آدم بالعلم من

---

(٤) تفسير المنار / جـ٨ / ٢٩٢ وما بعدها.
(٥)النساء / أية / ١.
(١)الحجر / ٢٦ / ٢٨.
(٢) ص / أية / ٧٢.
(٣) الأعراف / أية / ١٢.

البداية وتحدى به الملائكة فقال تعالى " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ "(١).

إذن يُميز آدم عن حواء قبل خلقها بعدة مزايا منها: .

١. انه أصل خلقها فهى جزء منه.

٢. أسجد الله الملائكة له، على سبيل التكريم له.

٣. أعطى الله آدم ميزة التعليم الإلهى وتنمية القدرات وعلى سبيل التعظيم كقدرة العقلية الفكرية، حتى يعده لمهمة العناء والشقاء فى الأرض "(٢).

من أى شىء خلقت حواء:

فى الحقيقة لقد ذاع فى البيئة الإسلامية وتعددت الآثار، من أن حواء خلقت من ضلع آدم – عليه السلام – على الرغم من أن القرآن الكريم ليس فيه ما يشير من قريب أو بعيد إلى أنها خلقت من ضلعه أو أو غير ضلعه، بل ليس فيه لفظ ضلع أو أضلاع على الإطلاق، ومن بين هذه الآثار نأتى بنص قد أورده الطبرى فى تفسير قوله تعالى من سورة النساء " خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء "(٣). حيث جاء ما يلى:

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمه قال: ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة، فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عنة

(٤) البقرة /٣١ / ٣٣.

(٥)) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام / /أ / زكى على السيد أبو غضة / ص ١٠٦ وما بعدها. /ط١ / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م/ دار الوفاء للطباعة والنشر.

(١)النساء / أية / ١.

عبدالله بن عباس وغيره . ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه، من شقه الأيشر ولأم مكانه، وآدم نائم لم يهب من نومه، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأة ليسكن إليها، فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال . فيما يزعمون والله أعلم.

لحمى ودمى وزوجتى! ! فسكن إليها(١).

والتفاصيل السابقة مأخوذة على ما تصقد عن الأصل الإسرلئيلى الوارد فى سفر التكوين ونصه:

" فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت " (٢).

والقرآن الكريم ليس فيه غير أن حواء زوجة لآدم، خلقها من نفس واحدة وخلق منها زوجها: كما جاء فى قوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(٣)

. وقد أكد كتاب الإسلام هذه الخلقة من نفس واحدة فى آيات بينات، من سورة الأنعام والأعراف والزمر والروم. وهم يذكرون فى حكاية الضلع هذه، حدثياً مروياً عن الرسول . ﷺ . يشبه فيه المرأة بضلع أعوج، إن حاولت تقويمه بالشدة والعنف كسرته.وقد فهموا هذا الحديث فهماً حرفياً، مع أن الضلع فيه من التعبير المجازى الذى تعرفه منه تحديد أصل الخلقة، وإنما هى وصية من نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام، بالترفق بالمرأة والحذيرمن أخذها بالشدة، مثله مثل الحديث الآخر: رفقاً بالقوارير "

(٢) الإسرائيليات فى تفسير الطبرى د/ آمال محمد عبدالرحمن ربيع / ص ١٠٦ وما بعدها القاهرة ٢..٥ م.

(٣) سفر التكوين / ٢/ ٢١- ٢٣.

(٤)النساء / أية / ١.

فهل خلقت النساء من قوارير ؟ (١).

ويقول د/ عبدالوهاب النجار: إن قوله تعالى " وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعاً من أضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء وقد قال بذلك كثير من العلماء وهى بعينها عباة التكوين، السابقة الذكر.

ومن الجائز أن يكون الله خلقها كما خلق آدم وأن يكون قوله تعالى " وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " أى من جنسها وعلى صورتها وحينئذ تكون المادة التى أخذت منها المرأة غير متعرض لها والرأى الأول النفس إليه أميل " (٢).

ويمكننا أن تقول لماذا لم يذكر القرآن الكريم حكاية الضلع جريا على ما اعتقده الناس فى هذا الحديث ؟

ويجيبنا عن ذلك أ. د / شامة بقوله: . لو حدث هذا لكان دليلا قاطعاً على أن القرآن الكريم ليس من عند الله، بل من عند محمد - ﷺ - لأنه فى هذه الحالة يكون قد ردد ما يشاع فى أوساط المجتمعات البشرية، يصرف النظر عن صحته وعدم صحته،لأن الاكتشافات الحديثة أثبتت خطأ هذا الزعم.

ما دام القرآن الكريم من عند الله، وهو يعلم حقيقة بدء الخلق، فلماذا لم يبين خطأ الناس فيما يزعمون، ويرددونه من خلق حواء من ضلع بدم، ويكون هذا البيان بأسلوب واضح لا يحتمل التأويل؟ لم يفعل هذا، ليجنب محمدا . ﷺ - الدخول فى مناقشات لا فائدة من ورائها، لأن هذا الموضوع لا يتعلق به صحة عقيدة، ولا يترتب عليه تقويم سلوك، بل يتبع مجال الترف العلمى الذى قد يفيد صاحبه فى دائرة التكوين الثقافى، ومع ذلك فإغفاله للضلع إشارة إلى عدم صحة هذه المعلومة التاريخية.

ولكن، ألا يعد التعبير بالنفس الواحدة، والتعبير بأنه " وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " ايحاء بصحة خبر خلق حواء من ضلع آدم ؟

قد يكون، ولم لا نفهمه على الطريقة الأخرى، وهو أنه من التعبيرات التى تدل على إعجاز القرآن الكريم، لأنه عبر عن هذا الحديث بأسلوب يظن من يعتقد

---

(٥) القرآن وقضايا الإنسان / د/ عائشة عبدالرحمن / ص ٤٢ وما بعدها.

(١) قصص الأنبياء / ص ٢١.

فى حكاية الضلع أنه يؤيده، فلا يثير مشاكل جدلية لا تنفع قضية التوحيد فى شىء على الاطلاق، وفى الوقت نفسه يوحى بعدم صحتها لمن يأتى من الأجيال اللاحقة، حيث يكون الإستعداد الذهنى والثقافى مؤهلاً لطرح هذه القصة الخيالية جانبا، وتفسير الآية بما يؤكد: أن آدم وحواء خلقا من مادة واحدة، وبذلك لا يصطدم مع نتائج البحوث العلمية الحديثة [١].

علاقة آدم بزوجه فى الجنة:

أمر الحق تبارك وتعالى آدم بالسكن فى الجنة ومعه زوجه، أعطى لهما الحق فى الاستمتاع بكل أطايبها ما عدا شجرة واحدة لم يحدد القرآن نوعها، فقال تعالى" وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ"[٢].

الأمر كان لآدم ومعه زوجه كرفيقة، ووفحواه الاستمتاع بحياتهما فى الجنة والنهى كان لكليهما، وهذه حكمة إلهية يوضح فيها الله عز وجل: أن الصلاح أو الفساد سيكون شركة. بين الاثنين ومسؤولية مشتركة وإن كانت القيادة للرجل، فالله هنا لم يذكر أن صلاح المرأة قد يفيد بل سيفيد حتماً زوجها وهذا تكريم لها [٣].

أول خطيئة بشرية وعلاقتها بحواء:

ارتبطت قضية الخطيئة الأولى بأحداث خلق الإنسان الأول ارتباطاً وثيقاً، فقد أفادت الكتب المقدسة: أنها وقعت بعد إتمام عملية الخلق، ولهذا وضعها الفكر الدينى فى مرتبة تلى مرتبة الخلق مباشرة. فى الزمن، فاعتبرت وكأنها نتيجة تالية لعملية الخلق فى مسيرة التاريخ الإنسانى.

وقد صورها سفر التكوين كما قلنا سابقاً بأن الله حرم على آدم وزوجته الأكل من إحدى الأشجار فى الجنة، فوقعت زوجته تحت تأثيرها الحية، حين صورت

(٢) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٣١وما بعدها / ط ١٩٨٨ م.
(٣)البقرة / أية / ٣٥.
(١) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام /أ / زكى على السيد أبو غضة / ص ١٠٦ وما بعدها. /ط١ / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

لها بأن المنع من الأكل لم يكن بسبب أن الذى يأكل من هذه الشجرة سيموت، بل لأن من يأكل منها تنفتح عينيه، ويكون عارفاً للخير والشر. أما القرآن الكريم فقد أوضح وأجلى حقيقة اول خطيئة للبشر، فأوضح أنها لم تكن بدافع من ذات آدم وزوجه، بل كانت بحيلة وكذب ودهاء من الشيطان الذى سبق أن توعد آدم وكل ذريته عندما تسلل الحقد إلى نفسه فقال لربه " قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " (١).

وكل هذه العداوة منشؤها الحسد، ويظهر ذلك جليا فى قول إبليس لله: " قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً" (٢) وقد ملك البغض والحسد والكراهية إبليس حتى أنه أقسم بربه على أن يضل الإنسان كما جاء فى قوله تعالى "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.إِلَّاعِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " (٣) وعلى ذلك أعد إبليس خططة لبداية الحرب العالمية الحقيقية مع الإنسان والتى بدأت بمجرد خلقه ولن تنتهى إلا بنهاية الإنسان على الأرض (٤).

بداية إغواء الشيطان لآدم وزوجه:

(٢) الحجر / ٣٩ ـ ٤..
(٣) الإسراء / اية /٦٢.
(٤) ص /٨٢ ـ ٨٣.
(٥) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام /أ/ زكى على السيد أبو غضة / ص ١.٨ وما بعدها/ط١ / ١٤٢٤ هـ ـ ٢..٣ م، القرآن وقضايا الإنسان / د/ عائشة عبدالرحمن / ص ٤٣ وما بعدها.

بدأت البداية فى الجنة، حيث تسبب الشيطان فى أول ذلة لآدم وزوجه معا كما جاء فى قوله تعالى "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (١).

وتجدر الإشارة إلى أن الغواية والوقوع فى الخطأ كان لآدم وحواء على حد سواء، ولأن آدم القائد وله حق القوامة فذلته أكبر من حواء حيث يقول تعالى " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" (٢).

والآية توضح ألتماس بعض العزر لآدم لأنه لطبيعته البشرية معرض للنسيان خاصة وهو فى عز وراحة ورفاهية الجنة، كما أنه كان ضعيف العزم لقلة خبرته بالحياة ولشدة غواية الشيطان له وازوجه، والتى بلغت أقصاها فى القسم، أى الحلف بأنه لهما من الناصحين.

ولذا يقول تعالى "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (٣).

ثم وسوس لآدم مرة أخرى فقال تعالى " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى" (٤).

ومن الآيات يتبين لنا ما يلى:

١. أن آدم وزوجه حواء مسؤون عن أول خطيئة للبشر، والمسؤولية وإن كانت مشتركة إلا أن آدم له منها النصيب الأوفر بصفته القائد.

٢ـ أن الشيطان استغل أحقر أساليب الغواية والتى تنم عن تخيله عن شرفه وكبريائه، وهو القسم لكيهما أنه من الناصحين، وقد لا يتخيل آدم ـ والكثير منا ـ أن من يقسم بالله يسمح لنفسه بالكذب .

٣ـ استغل الشيطان قلة خبرة آدم وزوجه بالحياة، وطبيعة النسيان، وتكرار الأقول " الوسوسة " حتى يوقع بهما فى حبائل مكيدية.

---

(١) البقرة /أية / ٣٦.
(٢) طه /أية / ١١٥.
(٣) الأعراف /٢./ ٢١.
(٤) طه /أية / ١٢..

٤. استغل الشيطان ضعف النفس البشرية المتمثل فى حب الرُقى وعشق الملك والسلطة والرغبة الشديدة فى الخلود، فجعل كل ذلك من أسلحته الفتاكة لكسب معركته مع الإنسان، ومازال هذا السلاح قائماً وسيظل [١].

جزاء معصية آدم وحواء معاً:

إن الذنوب مظهرات البلايا، والعثرات كاشفات الستور، ولا توجد فضيحة إلا بسبب معصية، وهذه سنة الله فى خلقه، فكان جزاء آدم وحواء من ذلك.

كما جاء فى قوله تعالى "فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ" [٢].

كما جاء فى قوله تعالى " فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" [٣].

ويقول العلماء " بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا "[٤].بدأ آدم وزوجه يخرجان الفضلات من بول وغيره، وبدأت تظهر الرغبات الجنسية.

ويقول القرطبى:" يروى أن آدم - عليه السلام - لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يسل منها ورقة يغطى بها عورته،هذا وقدتقبل الله التوبة فقال تعالى " ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى " [٥].

*وباستعراض آيات القرآن الكريم يتضح: .

أن حواء ليست مسؤولة عن المعصية وإن كانت شريكة فيها، وهى استوجبت العقاب الإلهى مساواة لآدم تماماً،بل إن مسؤولية آدم عن هذه الذلة أكبر لأنه القائد والأصل وصاحب القوامة والعلم. ولا نملك إلا أن نقول كما قال أ. د / محمد شامة: .

---

(٥) المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام / ص ١٠٩ وما بعدها.
(١) الأعراف /٢٢.
(٢) طه /١٢١.
(٣) الأعراف /٢٢.
(٤) طه /أية / ١٢٢.

لو كان القرآن الكريم من عند محمد - ﷺ - لنسخ هذه القصة على غرار ما هو شائع عنها فى المجتمعات الإنسانية، ولو كان القرآن الكريم من تأليف محمد - ﷺ - لحكم على المرأة بمثل ما حكمت عليها الأجيال الإنسانية من ن خلق آدم إلى عصره، ولو كان منبع القرآن الكريم بشرياً لما اختلفت فى الحكم فى هذه القضية عما تناقلته الأجيال السابقة عليه، لأن شواهد التاريخ وروايته . وإن كان معظمها يخالف الحقيقة . لها تأثير كبير على من يتناول أى جانب من جوانب التاريخ الإنسانى بالبحث والدراسة والتدوين، بل إن الباحث يكاد يكون أسير المعطيات التاريخية، التى وصلت إليه عبر القنوات الثقافية، التى تشكل الإنسان فكريا، فتطبعه بطابعها، وتلونه بلونها. ولا يستطيع أى باحث أن يخرج عن الإطار الذى تشكل فيه ثقافتها،إلا فى حدود ضيقة، وفى مسائل فرعية، بعد أن يثبت له بالدليل القاطع . إن بالتجربة، أو عن طريق الحفريات . عدم صحة ما سلمت بصحته الأجيال السابقة، وهذا هو طريق التطور فى مجال المعطيات التاريخية. لم يكن ما أخبر به القرآن الكريم عن أحداث الخطيئة الأولى خاضعاً لهذا القانون . إذ لم يتأثر بما كان شائعاً فى المجتمعات الإنسانية عن هذا الحديث، ولم يكرر ما جاء فى المصادر الدينية المجهولة المصدر، والمشكوك فى زمن تدوينها، كذلك لم يكن لدى محمد- ﷺ . نتائج تجريبية، أو شواهد من الحفريات،توضح له جوانب الخطأ فى هذه الروايات ،فهو أمى، يعيش فى مجتمع انعدمت فيه الظواهر الثقافية، التى تساعدت فى هذا المجال، بل كان وحيا من الله الذى خلق الإنسان، والذى اطلع على ما حدث من آدم وحواء بعد أن اسكنهما فى الجنة، فجاء حديث القرآن الكريم عن الخطيئة الأولى مغايراً فى العناصر الرئيسية لما شاع بين الناس نقلاً عن المصادر الدينية القديمة، إذ لم يشر إلى أن المرأة هى التى وقعت أولاً فى الخطيئة، بل نسب وقوعها إليهما معا، لا سابق منهما، ولا مسبوق، حينما قال" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (١).

(١)البقرة /أية / ٣٦.

ولا شك أن تبرئة القرآن الكريم المرأة على هذا النحو يرفع عنها لعنة لحقتها عبر القرون، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق، والانهيار السريع أمام الغواية، ولا يخفى أثر هذا على وضعها فى المجتمع (١)

كان هذا قبل أن تسمع المجتمعات شيئاً عن تحرير المرأة، وقبل أن يعرف الإنسان ما عرفه فى القرن العشرين من وصول المرأة إلى مراكز، فى كثير من مجالات الحياة، محاولة بذلك محو ما ترسب فى ذهن المجتمعات من آثار الروايات الدينية، التى انحدرت من عصور ما قبل ظهور الإسلام ليس من عند محمد، بل هو وحى من الله الذى يعلم حقيقة ما خفى على الناس جميعاً سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٢).

الفرق بين رأى القرآن الكريم ورأى سفر التكوين فى قضية خلق آدم:

بعد العرض السابق لقصة خلق "آدم وحواء " يتضح الفرق بين القرآن الكريم وسفر التكوين بل يبدوا الفرق واضحاً وضوح الشمس بين كتاب سماوى ملىء بالعديد من وجوده الاعجاز من ناحية اللغة والأسلوب،ذلك الكتاب الذى أعجز أساطين من فصحاء وأعيا مقاويل البلغاء، كتاب لا يؤخذ عليه شىء من التخاذل والتفاوت، بل كله إنسجام ووحدة وترابط، كتاب ملىء بالعلوم والمعارف فى هداية الخلق بلغت من نبالة القصد ونصاعة الحجة وحسن الأثر وعموم النفع مبلغا يستحيل على محمد . ﷺ . وهو رجل أمى تحدى أهل الأرض جميعاً من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين وأخلاقيين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها

كتاب وفى بحاجات البشر فى كل عصر ومصر وفاء لا تظفر به فى تشريع ولا فى أى دين آخر.

وهكذا يبدوا الفرق واضحاً إذاً بين القرآن الكريم وبين كتاب "ألفه " عزرا" بفتح العين . كما يقول اليهود السامريون حيث ذهبوا إلى القول بإنه كتب هذه التوراة،

(٢) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٣٥وما بعدها.
(٣) فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ص ١٣٤وما بعدها / ط ١٩٨٨ م.

وأنه حرف كلام الله، وغير وبدل عمداً بمحض إرادته، ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها، بل استبدل الحق بالباطل (١).

وفى قصة خلق "آدم وحواء " اتضحت كل هذه الحائق سابقة الذكر ويمكن حصر ذلك الفرق بين التوراة والقرآن فى عدة نقاط:.

١. التوراة لم تذكر مسألة السجود لآدم.

٢ـ التوراة لم تذكر مخالفة إبليس وتكبره وطرده من الجنة..بل استبعد الكاتب اسم الشيطان من توراة موسى، ليس فى إخراجه آدم وزوجه من الجنة، فحسب بل فى كل اصحاحات الأسفار الخمسة، ووضع بدله "الحية" فى العبرانية، و" الثعبان "فى السامرية.

٣ـ لم يقل كاتب التوراة: إن الجنة هى دار الثواب التى أعدت للمتقين فى الآخرة، بل قال هى بستان فى "عدن" فى العبرانية وفى السامرية قال "وأقره فى جنات النعيم للعبادة وللحفظ ".

٤ـ ذكر كاتب سفر التكوين: أن حواء مسؤله مسؤولية كاملة عن اقتراف أول معصية وهى أول عاصية.

٥ـ ذكر كاتب التوراة خلق حواء من ضلع آدم مما ترتب عليه أن المرأة أقل قيمة وتابعة للرجل (٢).

٦. ادعاء التوراة أن آدم إله من الآلهة حيثما جاء فيها وقال الله:.

" هذا آدم قد صاركوا حد منا معرفة فى الخير والشر والآن كيلا يمدَّ يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الدهر فطرده الله من جنات عدن " (٣).

والتوراة تقول أيضاً فى خلق الإنسان آدم " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر، وعلى جميع الدبابات التى تدب

(١) انظر هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل / لابن حزم / جـ ١ / ص١٢٧، نقد التوراة / د/ أحمد حجازى السقا / ص٧٣ وما بعدها.
(٢) نقد التوراة / د/ أحمد حجازى السقا / ص٧٤ ما بعدها.
(٣) سفر التكوين / الاصحاح الثالث / عدد ٢٣.

على الأرض ؛ فخلق الإنسان على صورته.. على صورة الله خلقه " ذكر وأنثى خلقهم، وباركهم الله " (١)

أما القرآن الكريم فإنه يخاطب إنسانا عاقلاً رشيداً وانه لكى يؤكد ما عند الخالق جل وعل من رحمة وفضل وتكريم للانسان لم يجعل ذلك عن علاقة المشابهة بين الخالق والمخلوق . كما تقول التوراة... ولكن هذا الذى جاء به القرآن فى الصلة بين الإنسان وربه آكد وألزم، لأنه قد يشبه الشىءُ الشىءَولا يكون بينهما رابطة من روابط الحب أو الائتلاف... ولأنه قد يقع بين الأباء والأبناء ما يقتضى النفرة، أو التقاطع فى بعض الأحيان، ولكن الصلة التى لا تنفصم أبداً، هى الصلة بين الخالق وما أبدع من مخلوقات.. هى صلة فى مكان الأعزاز والتكريم. إنه لن يقع بين الخالق ومخلوقاته إلا ما يقع بين الفنان وبين أبعد الآيات من فنه وما نفخ فيه من روحه ولله المثل الأعلى.

وهذه هى الفروق بين القرآن الكريم والتوراة، فالتوراة حكت القصة بطريقة تاريخية . أما القرآن الكريم فقد جاء بموضع العبرة فى خلق آدم واستعداد الكون لأن يتكمل به، وكونه قد أعطى استعداداً فى العلم والعمل لا نهاية لهما ليظهر حكم الله ويقيم سنته فى الأرض فيكون خليفة له، وكونه لا يسلم من داعية الشر والتأثر بالوسوسة التى تحمل على المعصية، ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هى تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين، وإنما ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره، لم يبين الزمان والمكان كما بيّنا فى سفر التكوين، وكان بيانهما سبباً لرفض الباحثتن فى الكون وتاريخ الخليفة لدين النصرانية،لأن العلم المبنى على الاخبار والمشاهدة أظهر خطأ ما جاء من التاريخ فى التوراة، ووجدت للإنسان آثار فى الأرض تدل على أنه أقدم مما حددته التوراة فى تاريخ تكوينه، فقام فريق من أهل الكتاب يركب التعاسيف فى التأويل، وفريق يكفر بالكتاب والتنزيل (٢).

---

(٤) راجع الله والانسان / عبدالكريم الخطيب / ص٢١ / طبع دار الفكر العربى.

(١) تفسير المنار / السيد محمد رشيد رضا /جـ١ / ص٢٣٢ / الهيئة المصرية العامة للكتب. ١٩٧٢ م.

الفصل الثالث
خلق الجن

المبحث الأول: الجن فى سفر التكوين:

قبل الحديث عن خلق الجن فى سفر التكوين أريد أن أشيرإلى نقطة هامة ألاوهى اتفاق جمهور أرباب الملل والنحل إلى أن فرق العقلاء المكلفين أربعة : الملائكة، والبشر، والجن، والشياطين .

واختلفوا فى أنه:هل الجن نوع والشياطين نوع آخر ؟ فقال قوم: الأمر كذلك. وقال آخرون: الجن هم الأرواح الطاهرة الخيرة، والشياطين هم الأرواح المؤذية الشريرة [1] .

(١) المطالب العالية من العلم الإلهى / الامام فخر الدين الرازى / ص ٣١٥.

وقد ذكر لفظ الجن فى توراة موسى، حيث جاء فى سفر اللاويين " لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم. أنا الرب إلهكم "(١).

أما سفر التكوين فيكاد يكون قد خلى تماماً من الحديث عن الجن وكيفية خلقه، حتى إننا لنجد أنه أيضاً خلى تماماً من ذكر لفظ الشيطان، ليس فى سفر التكوين فحسب بل فى كل اصحاحات الأسفار الخمسة، ووضع بدله "الحية" فى العبرانية، و"الثعبان " فى التوراة السامرية، حيث تقول الآية الأولى فى العبرانية "وكانت الحية" وفى السامرية "والثعبان كان" (٢).

ولقد جاء فى كتاب "دلالة الحائرين " أن الشيطان لفظ مشتق من شطه [جنح]: اجْنَحْ عنه وأعْبرُ، اعنى أنه من معنى الزوال والذهاب لأنه هو الذى يزيل عن طريق الحق بلا شك، ويُوبِق فى طريق الضلال. وعن ذلك المعنى بعينه أيضاً يقول ابن ميمون: أن خبيث الجبلة هو الشيطان وهو ملك بلا شك عندهم أى أنه يسمى ملكا لأنه فى غمار بنى الله، والشيطان هو ملك الشر (٣).

وقد جاء ذكر الشيطان فى التوراة أيضاً فى قصة أيوب حيث جاء " وكان ذات يوم أنه بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم. فقال الرب للشيطان من أين جئت. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها "(٤).ثم جاء فى التوراة فى نفس القصة أيضاً أن كل ما حل بأيوب من الآفات فى ماله وولده، وجسمه كان سببه الشيطان يقول النص: "فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته.. "(٥).

وجاء فى التوراة أيضاً فى نفس القصة أن الشيطان ليس له أى نوع من التسليط على النفس، وأنه جُعل له سلطان هذه الأشياء الأرضية كلها، وحيل بينه وبين

---

(٢) سفر اللاويين اصحاح/ ص ١٩ / العدد٣١.

(٣) من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية فى الألفاظ والمعانى / د / أحمد حجازى السقا /ص ١٢ / نشر دار الأنصار بالقاهرة.

(٤) دلالة الحائرين / ص٥٤٩ وما بعدها.

(٥) سفر أيوب / الاصحاح الأول / عدد ٦ـ ٨.

(٦) سفر أيوب / الاصحاح ٢ / عدد ٧ـ ٨.

النفس وهو قوله فى التوراة "فقال الرب للشيطان ها هو فى يدك ولكن احفظ نفسه "(١).

ويعلق ليوتاكسبل (٢) على ما جاء فى التوراة عن ذكر الشيطان قائلاً فى التوراة اليهودية القديمة، أى فى أسفارها التى كتبت بعد السبى البابلى [بعد مضى أكثر من ألف عام على التاريخ الذى ينسب اليه موت موسى] يجرى الحديث عن الشيطان، ويوصف فيها ابليس بأنه أكثر الشياطين أهمية. فالشياطين هى، أرواح شريرة، مثل يهوه والمقلبين منه. ولا نفع فيها على أى ايضاح آخر. فهم لا يصفون الشياطين بأنها كائنات تاعسة، مطرودة من الجنة السماوية، ومقيدة إلى جدران جهنم المستعرة.ففى قصة أيوب، ترى إبليس يتجوّل فى السماء متبختراً،بل ويدخل فى جدال مع يهوه نفسه.ولما رأى النقاد أن هذه الشياطين تعيش فى التوراة عيشة مرحة، ولا تعانى عذابات جهنم، أشاروا إلى أن هذه الحال تتوافق مع عقائد الكلدانيين والفرس، الذين يعود تاريخ كتبهم المقدسة إلى زمن أكثرعمقاً فى التاريخ من كتاب اليهود.وبناءاً على هذا سجلوا الاستنتاج التالى: فى فترة السبى البابلى، أضاف اليهود إلى معتقدادتهم بعض معتقدات الشعوب التى تأتى لهم العيش بين ظهرانيها: أضف إلى هذا أن الاسم الذى أطلقه اليهود على الشيطان الرئيسى، يحمل طابع الديانة الكلدانية أوالبابلية "ساتانا " أى إبليس، ليست كلمة يهودية بل كلدانية، معناها " الكره " (٣).

ويمكننا القول، بأن التوراة لم تذكر شيئاً عن خلق الشياطين، ولكن يمكن التعرف على أصل الشياطين من خلال " التلمود " (٤).

---

(١) سفر أيوب / الاصحاح ٢ / عدد ٦.

(٢) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ليوتاكسبل / ص ٥٣ وما بعدها.

(٤) هو الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية الشفوية، وهو مكون من المشناه، والجمارا. أى الشرح والتعليق أو التفسير والحواشى للمشناه. وهو يعتبر الكتاب الأصلى، الذى يأخذون عنه كل شىء باعتباره التوراة الشفوية، التى جاء فيها قول أحبارهم: من درس التوراة: فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشناه: فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا: فعل أعظم فضيلة وينقل عن الحاخام روسكى قوله:" التفت يابنى إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى

الذى جاء فيه: خلق الله الشياطين يوم الجمعة عندما خَيّم الغسق،ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبب كان قريباً، وما كان لديه الوقت الكافى ليعمل كل ذلك [١].وعلى حسب رواية أخرى: لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الانسان بدون جسد !!

والشياطين على جملة أنواع فبعضهم مخلوق من مركب مائى ونارى، وبعضهم مخلوق من الهواء وبعضهم من الطين. أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لاتصلح الإ لصنعها. وبعض الشياطين من نسل آدم لأنه بعد ما لعنه الله أبى أن يجامع زوجتهُ حواء حتى لا تلد له نسلاً تعيسا، فحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين !!

وجاء فى التلمود: أن آدم كان يأتى شيطانه مهمه اسمها [ليليت] مدة ١٣. سنة فولد منها شياطين ! وكانت حواء أيضاً لاتلد فى هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين [٢].

والشياطين على حسب التلمود: يتناسلون، ويأكلون، ويشربون، ويموتون.

***رؤساء الشياطين:**

وأمهات الشياطين المشهورات أربعة استخدمهنَّ سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة وكان يجامعهن !!

[التوراة] راجع التلمود / كتاب ايروبهين،وكتاب بابهاميتسيا. انظر الكنز المرصود فى فضائح التلمود / د/ محمد عبدالله الشرقاوى/ ص ١٣. نشر مكتبة الوعى الإسلامى.

(١) على أساس الخرافة الإسرائيلية الزاعمة أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام فأصابه التعب والنصب واللغوب، فاسبت، أى: فاستراح فى اليوم السابع، ولم يكفه سبحانه الوقت ليخلق أجساداً ويصنع ملابس للشياطين !!

(٢) يعلق د/ محمد عبدالله الشرقاوى بقوله الذى نوافقه الرأى فيه:" لئن كان اليهود قد تطاولوا على الله تعالى بما ذكر سبحانه عنهم فى كتابه الكريم وتطاولوا على ملائكته، وعلى رسله، وعلى دينه، فليس بمستغرب أن يتطاولوا على أبى البشر آدم وعلى أمهم حواء... وتأمَل أن الجريمة التى يرمى بها الاسرائيليون آدم وحواء هى جريمة [الزنا] وإنهم حقاً أهل دعارة وعهر، راجع الكنز المرصود فى فضائح التلمود / ص ١٨٤.

وقال التلمود إن إحدى هؤلاء النسوه وهى امرأة الشيطان المسمى [شماعيل] تذهب مع بناتها فى مقدمة مائة وثمانين الف شيطان بصفة رئيسة عليهم، ليوقعوا الضرر بالناس فى ليلتى الخميس والسبت.

[وليليت] السابق ذكرها عصت آدم زوجها فعاقبها الله بموت أولادها، فهى تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها، ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الاطفال التى لها عليهم السلطة ،اذا تليت عليهم ثلاثة أسماء من أسماء الملائكة.

هذا وهى دائماً تعوى كالكلاب ويصحبها مائة وثمانون ملكاً من الأشرار، وتوجد شيطانة أخرى من الأربعة المذكورات دأبها الرقص بدون أن تستريح، وهى تصحب معها مائة وتسعة وسبعين روحاً شريرة.

ويولد الآن من بنى آدم كل يوم جملة من الشياطين [1].

ويستطيع الانسان فى ـ بعض الأحوال . أن يقتل الشياطين إذا أجاد صناعة الفصح [2].وقد تسبب نوح فى حياة بعضهم لأنه أخذهم معه فى السفينة.

***وظائفهم وسكنهم على الأرض:**

(١) انظر الكنز المرصود فى فضائح التلمود / د/ محمد عبدالله الشرقاوى / ص ١٨٤ وما بعدها

(٢) فطير الفصح فطيرة مخصوصة تصنع بدل الخبز المختمر، لمناسبة عيد الفصح، وهو ذكرى عبورهم وخروجهم من مصر بقيادة موسى – عليه السلام –ومما يذكر هنا أن أحبارهم قربوا لهم فى التلمود أن هذه الفطيرة ينبغى أن تعجن أو يضاف إليها دم بشرى، ومن أجل ذلك كثرت الذبائح البشرية التلمودية.. راجع المجتمع اليهودى / لزكى شنودة، والكنز المرصود فى فضائح التلمود / د/ محمد عبدالله الشرقاوى / ص١٨٥.

أما محل سكن الشياطين فقال الحاخامات: إن بعضهم يسكن فى الهواء، وهم الذين يسّببون الأحلام للإنسان. وبعضهم يسكن فى قاع البحر ؛ وهم الذين يتسببون فى خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم. وبعضهم يسكن فى أجام اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا.

وعلى حسب التلمود: يحب الشيطان الرقص بين قرون ثور خارج من المياه، وهو مغرم أيضاً بالرقص بين النسوة اللاتى يرجعن من دفن ميت.

ويحب أن يوجد بجانب الحاخامات، لأن الأرض الجافة تحتاج إلى المطر.

ويحب شجر البندق، والنوم تحت هذه الأشجار خطر لوجود شيطان على كل ورقة من أوراقها.

ويسكن جبال الشرق المظلمة ثنتان من الشيطانات المشهورات اسمهما [آذا وآذائيل]وهما اللتان علمتا السحر [لبلعام وأيوب ويوترو].

وكان الملك سليمان يحكم على الطيور والشياطين بواستطهما، وكانتا السبب فى حضور بلقيس إليه.

وبسبب كثرة الشياطين لا يلزم الإنسان أن ينفرد فى المحلات، بل يلزمه أن يجتنب الخروج مدة تزايد الهلال أو نقصانه، وعليه أن لا يحّيى أحداً بتحية ليلاً، لأنه من المحتمل أن يكون وجّه السلام لشيطان. وعلى كل شخص أن يغسل يديه فى الفجر لأن الروح النجسة تستريح على الأيادى النجسة [١].

المبحث الثانى: الجن فى القرآن الكريم:

أ. التعريف بالجن

إن الجن من خلق الله لا نعلم حقيقتهم ولم نرهم

(٣) انظر الكنز المرصود فى فضائح التلمود / د/ محمد عبدالله الشرقاوى / ص ١٨٦ و ما بعدها

قال تعالى " يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَاإِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ" (١).

والاعتقاد بهم واجب. وهو من الأمور السمعية التى أخبر بها المعصوم . ﷺ – بنص قاطع الثبوت والدلالة، ولولا أن الله ذكرهم فى القرآن ما علمنا بوجودهم ولا سلمنا.

وقد ذكر لفظ الجن والجان والجِنَّة ٣٢مرة فى احدى وثلاثين آية من القرآن الكريم (٢).

ب . خلق الجن:

ولقد خلق الجن من النار قال تعالى " وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ" (٣).

قيل إن الله خلق جسده من اللهب الأصفر والأحمر، وقد مزجهما الله تعالى بقدرتة فخلق أجسادهم منها ثم نفخ فيها أرواحهم (٤).

يقول تعالى فى خلق الجان أيضاً " وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ" (٥).

يقول تعالى " قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(٦).

وجاء عن ابن عباس . ﷺ ـ أيضاً قال: " إبليس حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم (٧) من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار " (١).

---

(١)الأعراف /أية / ٢٧.

(٢) قصص الأنبياء / د / عبدالوهاب النجار / ص ٣٤ وما بعدها، عالم الجن أسرار وخفاياه مصطفى عاشور/ ص ١٥ وما بعدها.

(٣)البقرة /أية / ١٥.

(٤) نهاية إسرائيل والصهونية / عبدالحميد واكد / ص ٤٩٧ وما بعدها / مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر.

(٥)الحجر /أية / ٢٧.

(٦) ص /٧٥ ـ ٧٦.

(٧) قال ابن عباس السموم هى الريح الحارة التى تقتل وعنه أنها نار لا دخان لها.

وقد خرج مسلم من حديث عروة عن عائشة قالت قال . ﷺ .خلقت [الملائكة] من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم " (٢).

وجاء فى تفسير القرطبى، عن ابن عباس: الجان أبو الجن وليسوا شياطين والشياطين ولد إبليس ولا يموتون إلا مع إبليس والجن يموتون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فآدم أبو الأنس والجان أبو الجن وإبليس أبو الشياطين ذكره الماوردى" (٣).

وجاء فى صحيحابن حبان حدثنا مبشر عن الأوزاعى عن يحى بن أبى كثير عن عبدة بن أبى لبابة عبد الله بن كعب أن أباه أخبره أنه كان له جرن فيه تمر قال فكان أبى يتعاهد هذا فوجده ينقص قال فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شيبه الغلام المحتلم قال فسلمت عليه فرد السلام قال فقلت ما أنت جنى أم إنسى قال جنى قال قلت ناولى يدك قال فناولنى يده فاذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلق الجن " (٤).

وفى تفسير القرطبى أيضاً:روى جبير بن نفير عن أبى ثعلبه الخشى . واسمه جرثوم . أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:"الجن على ثلاثة أثلاث فثلث لهم أجنحة يطيرون فى الهواء . وثلث حيات وكلاب . وثلث يحلون ويظعنون" (٥).

---

(٨) تفسير القرطبى لمحمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج القرطبى / جـ١. /ص ٢٣ /نشر دار الشعب القاهرة / ط ٢.

(٩) صحيح مسلم للنووى /جـ٤ /ص ٢٢٩٤ / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى /دار إحياء التراث العربى بيروت

(١) تفسير القرطبى / جـ١ /ص /نشر دار الشعب القاهرة / ط ٢.

(٢) صحيح ابن حبان / لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى / جـ ٣/ ص٦٣ كتاب التاريخ / باب بدء الخلق ١٤. / ٢٦ / حديث ٦١٥٦. / ط٢ / تحقيق شعيب الأرنؤوط / نشر ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م، والأحاديث المختارة / جـ ٤ / ص ٣٣ / تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دميش / ط١ / مكة المكرمة، والمعجم الكبير.

(٣) المجم الكبير / تأليف / سليمان أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرى / ط٢ /عام ١٤.٤ هـ ١٩٨٣ م ـ تحقيق / حمدى بن عبدالمجيد السلفى،) المستدرك على الصحيحين/ تأليف/ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابورى / دار الكتب العلمية / بيروت /ط ١ / عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩. م تحقيق مصطفى عبد القادر عطا

وروى أبوالدرداء واسمه عويمر قال:قال ـ ﷺ ـ "خلق الجن ثلاثة فثلث كلات وحيات وخشاش الأرض وثلث ريح هفافة . وثلث كبنى آدم لهم الثواب وعلهم العقاب.. وخلق الإنسن ثلاثة أثلاث: فثلث لهم قلوب لا يفقهون بها وأعين لا ينصرون بها وآذان لا يسمعون بها، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا. وثلث أجسادهم كأجساد بنى آدم وقلوبهم قلوب الشياطين، وثلث فى ظل الله يوم لاظل إلاظله " (١).

ويستطيع الجن التمثل فى عديد من الصور والهيئات للمخلوقات الحية كالأنسان

والحيات والفيران وغيرها. ومنهم الذكور والإناث فهم يتناسلون.. ومنهم أعداد تمائل أعداد بنى البشر حيث تدل الآية الكريمة: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ " (٢).

ويتكرر ذكرعبادة " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" (٣) كذلك جاء فى النص القرآنى "وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا" (٤).

فكلمة يا معشر تدل على كثرتهم.. وكلمة لم يطمثهن تدل على تزاوجهم وكلمة برجال تدل على أن منهم رجالاً وإناثاً..كذلك فإن مما يدل على تمثلهم الهيئات قوله . ﷺ:.

" من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشسيطان لا يتمثل بى "..(٥).

---

(٤) تفسير القرطبى / جـ١ /ص ٣١٨.
(٥)الرحمن /أية / ٣٣.
(١)الرحمن /أية / ٥٦.
(٢)الجن /آية / ٦.
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم / جـ١ /ص ١١٥ / ط٢ / دار إحياء التراث العربى بيروت

وهذه القدرة على التمثيل هى خارق قدرات الجن كقدرته على لمس السماء حيث تدل الآية " وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا.وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا " (١).

ويقول تعالى " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ" (٢).

وقيل إن عدد الجن أكثر من عدد الإنس تسع مرات... (٣).

إذن الجن أجسام نارية قادرة . بقدرة الله تعالى . على التشكيل بأشكال حسنة وقبيحة، وهم يأكلون ويشربون، وإنهم مسؤلون أمام الله ويحاسبون كبنى آدم. فالصالحون من الجن يتزوجون ويتعبدون ويتبعون الكتاب الذى أنزله الله، وقد ترى ظاهرة فى الكون تشابه النار قد تكون ناراً أو جنا، أو شيطاناً تجسد فى ظاهرة تعرفها من لونها ومظهرها. والفاسقون منهم هم الشياطين الذين يأتون كل محرم. وهم الذين يأخذون أعوانهم من شياطين الأنس كالكفرة والعصاة وزعيم هذه الطائفة [إبليس] لعنه الله (٤).

وتتعدد الآيات التى تذكر الجن مفرداً وجماعة وأمما.. وتتعدد الصور والمواقف التى يتعرض لها الجن فى القرآن.. فهو يرفض السجود لآدم فى شخص إبليس قال تعالى " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" (٥).

وهو يأتى لسليمان – عليه السلام – بعرش بلقيس ملكة سبأ فى شخص واحد من الجان. قال تعالى " قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" (٦).

---

(٤)الجن / ٨، ٩.

(٥)الحجر / ١٦، ١٧..

(٦) نهاية إسرائيل والصهونية / أ/ عبدالحميد واكد / ص ٤٩٨ وما بعدها.

(٧) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٨)البقرة / آية/٣٤.

(١)النمل / آية/٤..

فهذه الآية الكريمة توضح قوة الجن المسخرة لسليمان – عليه السلام – إذ كان بينه وبين بلقيس وعرشها آلاف الكيلومترات، وكان فى استطاعة العفريت أن يأتى بها فى ثوان، ولكن الطرف الآخر اختلف عنه لأنه من الصالحين، وقيل عنه أنه ملك من الملائكة أو عبد من عباد الله الصالحين، وقد رجحت بعض الرويات أنه آصف وزير سليمان. ويقال أنه كان يعلم بعض الأسرار الكونية، وثبت أن قدرته بما علمه الله من الأسرار أنه أشد وأقوى من الجن، ذلك بأنه يستطيع أن يأتى بها وبعرشها فى لحظة، وهى ظاهرة هامة للمؤمنين، إذ يستطيع المؤمن أن يحول الشئ إلى طاقة يستحضرها بقدرة الله بدون أجهزة، كما نشاهد طاقة التليفزيون بالصورة والحركة والصوت فى عدة لحظات بعد خروجها من مصدرها إلى المكان الذى تصل إليه ويستطع المؤمن أن ينتقل بعلم من الله إلى أى مكان بقدرة الله إذا أعده وزوده بالإيمان... كل هذه أمور ترجع أسبابها وعلمها وقدرتها لأمر الله وحده ومشيئته، وقد أثقنت العلم الحديث إمكان حدوث هذا، بعدما استطاع أن ينقل الصورة والصوت من مكان لآخر فى لحظات، وأنهما . أى الصورة والصوت . ينفذان من المادة وقدرة الله فوق كل أمر، الذى جعل الملائكة والجن ينفذان من المادة بلا أجهزة [١].

إذن فى قصة سليمان– عليه السلام – دليل على أن الذى عنده علم من البشر المؤمنين يمكن أن يؤيده الله بقدرات تفوق قدرات الجن بتأييد الله له حيث أتى بالعرش قبل أن يرتد رمش العين إليها ذلك الإنس الصالح فى حين أن الجن عرض على سليمان أن يأتى بالعرش فى مدة أطول من ذلك.

ويؤيد قولنا بتعدد الآيات التى تذكر الجن قوله تعالى " وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا" [٢].

وأيضاً " وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا" [٣].

فقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه. فمنهم من اهتدى ومنهم من ضل فكان شيطانا ويدل على ذلك الآية الكريمة: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ

(٢) نهاية إسرائيل والصهونية / أ/ عبدالحميد واكد / ص ٥٢٩ وما بعدها.
(٣)الجن /آية / ١١.
(٤)الجن /آية / ١٤.

الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ " (١).

والجن صنف غير صنف الملائكة وغير جنس الانسان.

فالملائكة: خلقت من نور.

والانسان: خلق من طين يابس كالفخار.

والجن: من مارج من نار أى من أخلاط من نار.

والجن ذوو مذاهب مختلفة، قال السدى: الجن أمثالكم، فيهم: مرجئة، وقدرية،وروافض، وخوارج (٢).

والجن مخلوقون قبل الإنسان:

عمر الجن أكبر كثيراً من عمر الإنسان بدليل قوله تعالى "قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ " (٣).فكأن الجن عاشوا عصر موسى- عليه السلام - وظلوا أحياء حتى نزل القرآن الكريم أى ما يقرب من ثلاثة الآف سنة.. ولا يوجد من البشر من عاصر موسى.. وعاصر رسالة محمد . ﷺ . (٤).

وقال الله تعالى " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ " (٥).

قال تعالى "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " (٦).

---

(٥)الأنعام /آية / ١١٢.

(١)عالم الجن أسراره وخفاياه / مصطفى عاشور / ٢٨ / نشر مكتبة القرآن القاهرة.

(٢)الأحقاف /آية / ٣..

(٣)الشيطان والانسان / للشيخ محمد متولى الشعراوى/ ص ٦٣ / ط مؤسسة أخبار اليوم إدارة الاشتراكات.

(٤)الحجر /٢٦/ ٢٧.

(٥)البقرة /آية / ٣٤.

ففى أمر سجود إبليس . الذى هو من الجن . لآدم – عليه السلام – دلالة واضحة على أن الجن مخلوقون قبل آدم وهو الإنسان الأول [١].

الشياطين:

جاء فى لسان العرب أن: اسم شيطان، يقال هو من ولد إبليس، والشيطان: فيقال من شطن إذا بعد فيمن جعل النون أصلاً، وقولهم
الشياطين على ذلك.

والشيطان: معروف، وكل عاتٍ متمرد من الجن والانس والدواب شيطان... ويقال تشيطن الرجل إذا صار شيطاناً وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعله فعله.

وقيل الشيطان فعلان من شاط يشيط إذاهلك واحتدم مثل هيمان وغيمان من هام وغام، قال الأزهرى: الأول أكثر. قال والدليل على أنه من شطن قول أميه بن أبى الصلت يذكر سليمان النبى . ﷺ . أيما شاطن عصى عكاه أراد أيما شيطان.وفى التنزيل العزيز:" وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ " [٢].وقرأ الحسن: وقوله تعالى" طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ " [٣].

قال الزجاج: وجهه أن الشئ إذا استقبح شبه بالشياطين فيقال: كأنه وجه شيطان وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يُرى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولو رؤى لرؤى فى أقبح صورة [٤].

وقد ورد اسم الشيطان [بالألف والام] فى الديانات الثلاث والرأى الغالب أن كلمة [الشيطان] عبرية ما لم يكن قد سبق اليهود إليها أحد من المشارقة.

والأرجح عند العقاد أن الكلمة أصلية فى اللغة العربية حيث وصلت اللغة العربية على كل جذر يمكن أن يتفرع منه لفظ الشيطان ففيها مادة [شط . شاط . شوط . شطن] وهى كلمات تحمل معانى البعد والضلال والتلهب والاحتراق وهى معاتى شيطانية.

---

(٦)تفسير ابن كثير / جـ١ / ص٣٠٦ / دار الفكر.
(١)الشعراء /آية / ٢١..
(٢)الصافات /آية / ٦٥.
(٣) لسان العرب / لابن منظور / جـ١٣ / ص ٢٣٧.

وقد كان العرب يسمون الثعبان الكبير بالشيطان وذكر اليهود المتأخرون أن الشيطان تمثل لآدم فى صورة الحية ويؤخذ من سفر أيوب . وهو عربى باتفاق المؤرخين . وكذا يؤخذ من تاريخ الأدب العربى فى الجاهلية أن العرب قد عرفوا الشيطان فهو ليس مجرد اسم معرب (١).

وأشهر أسماء الشيطان الأكبر [إبليس] قال تعالى " إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " (٢).

والإبلاس فى العربية فقد الرجاء وتدليلاً على هذا المعنى نقول: فى كلامنا " أمل إبليس فى الجنة " أى فقده الرجاء فيها.. ذلك بعصيانه الله حين أمره أن يسجد لآدم.. وجنوده من الإنس والشياطين والمردة من الجن يضلون الناس ويأتونهم من كل اتجاه وبكل الأساليب.. وبعض الشياطين قرناء للناس أما البعض الآخر من القرناء فمن الجن الذين ليسوا شياطين (٣).

ولقد ذكر الشيطان بلفظ فى القرآن ٦٨ مرة . وشيطانا مرتين . والشياطين بلفظها ١٧ مرة وشياطينهم مرة واحدة والشيطان هو ذلك المخلوق النارى الجبار المتصف باللعنة والكبر والاضلال والإذلال بعد الفقر ويأمر بالفحشاء ويستذل الناس بما كسبوا ويوقع بينهم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويزين للعاصين أعمالهم ويضلهم ضلالاً بعيداً فمن اتخذه ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً.

ومن صفات الشيطان أيضاً إلقاء الحزن فى النفوس والقلب والتخرب والاستهواء والغرور والابتعاد عن الإيمان وتنصيب الولاية على المخلوقات ليتبعوه والتبذير والإسراف وهمزات السوء واللمزات والنفاق والحقد الأسود وكل الصفات الذميمة نجدها منصوصة فى القرآن الكريم (٤).

---

(٤) حقيقة الإنسان / د/ عيسى عبده،أحمد اسماعيل يحيى / ص ١٨٢ وما بعدها.
(٥)البقرة /آية / ٣٤.
(٦)نفس المرجع / نفس الصفحة.
(١) نفس المرجع / نفس الصفحة.

ويلقب إبليس قبل عصيانه لربه بعزازيل وكنى بأبى كردوس ثم أصبح بعد العصيان هو وذريته شياطين لعنهم الله أجمعين [١].

والشيطان كما يكون من الجن يكون من بعض الإنس وهو (الْوَسْوَاسِ[٢]. الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ) وقد وسوس لآدم وحواء فأخرجهما مما كانا فيه فى الجنة وأزلهما عنها، فهو للإنسان عدو مبين وهو لله عصى من الكافرين، وما من رسول أو نبى تمنى قبل محمد . ﷺ ـ إلا ألقى الشيطان فى أمنيته ولكن الله أعان النبى محمداً . ﷺ ـ على شيطانه فأسلم ولكنه وسوس لآدم وحواء وموسى وأنسى يونس الحوت وتلت الشياطين على ملك سليمان والله تعالى يقول " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ " [٣].

ولقد ذكر الإمام الغزالى[٤] أن الشيطان تسلط على القلب بالوسوسة حيث يرى أن للقلب أنوار وظلمة ولأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان: فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكا، وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطاناً، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً، والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً..، والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير. وإفادة العلم، وكشف الحق، والوعد بالخير، والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذلك. والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر، والأمر بالفحشاء، والتخويف عن الهم بالخير بالفقر، فالوسوسة فى مقابلة الإلهام، والشيطان فى مقابل الملك، والتوفيق فى مقابل

(٢) نهاية إسرائيل والصهونية / أ/ عبدالحميد واكد / ص ٤٩٨ وما بعدها.

(٣) الوسوسة هى إغواء الشيطان: وهى إغراء بأرتقاب الشر، والوسوسة فى اللغة العربية هى صوت رنين الذهب والحلى وهو صوت يجذب الناس ويغريهم ويلفت نظرهم، والوسوسة لابد أن يكون فيها إغراء /راجع الشيطان والانسان / للشيخ محمد متولى الشعراوى / ٤٨.

(٤)الأنعام /آية / ١١٢.

(٥) إحياء علوم الدين /جـ٢ /ص ٣٤ وما بعدها.

الخزلان،.. فالقلب متجاذ ب بين الشيطان والملك. وقد قال ﷺ " فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق،فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله، ولمة من العدوّ ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم(١). ثم تلا قوله تعالى:" الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " (٢).

وقال تعالى " إخباراً عن إبليس " قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" (٣).

وقال رسول الله ﷺ "إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال" أتسلم وتترك دينك ودين أبائك فعصاه وأسلم، ثم قعد له الهجرة فقال: أتهاجر أتدع أرضك وسماءك ؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعصاه وجاهد "(٤). وقال رسول الله ﷺ "فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة "(٥).

هذا ويؤكد العلم الحديث أن وسوسة الشيطان للإنسان لا تقف عند حد حتى إنها ليحثه على قتل نفسه والقضاء عليها ليس فقط على قتل غيره، وشيطان الجن أقدر فى الوسوسة من شيطان الإنس (الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس)ولذا جاء متقدماً عليه فى الآية. وواجب الإنسان أن يستعيذ

---

(١) حد يث" فى القلب لمتان لمة من اللمك إيعاد بالخير.. الخير " أخرجه الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديث ابن مسعود.

(٢)البقرة /آية / ٢٦٨.

(٣)الأعراف /١٦، ١٧.

(٤) حديث " الشيطان قعد لابن آدم بطرق "الحديث " أخرجه النسائى من حديث سيرة بن أبى فاكه بإسناد صحيح.

(٥) إحياء علوم الدين / للامام الغزالى /جـ٢ /ص/ ٣٧.

الله كلما نزغه نزغ من الشيطان.. ويقول [ديل كارينجى] لماذا لا نتجه إلى الله إذا استشعرنا القلق ؟ ولماذا لانؤمن بالله.
ونحن فى أشد الحاجة إلى هذا الإيمان ؟ ولماذا لا نربط أنفسنا بالقوة العظمى المهيمنة على هذا الكون [١]؟

الفرق بين موقف القرآن ومو قف سفر التكوين فى قضية خلق الجن:

فى الحقيقة إن الفرق يكاد يكون واضحاً نتيجة لما ذكرنا سابقاً فقد عرفنا أن سفر التكوين قد خلى تماماً من ذكر الجن وكيفية خلقه، بل نجد التوراة بأكملها [٢].

لم تذكر حتى مخالفة إبليس وتكبره وطردة من الجنة، بل استبعد الكاتب، اسم الشيطان من توراة موسى، ووضع بدله [الحية] فى العبرانية و[الثعبان] فى السامرية، مما دفع العديد من الباحثين وعلى رأسهم [ليوتاكسبل] يعلق بقوله: حتى العقوبة حينما نزلت أنزلت بالحية، مما دفع اللاهوتيين يكذبون بفظاظة عندما يرون الشيطان فى هذه الأفعى، وينسبون إليه غواية المرأة ودفع الجنس البشرى إلى هاوية الخطيئة الأصلية. فلو كان الشيطان هو المذنب لنزلت العقوبة به وليس بالحية. ولكن العقوبة لم تنزل إلا بالحية كحيوان [وحشى] من وحوش البرية.

---

(٦) حقيقة الإنسان / د/ عيسى عبده /وغيره / ص ١٨٣ وما بعدها.
(١) أسفار موسى الخمسة وهى "سفر التكوين ـ والخروج ـ والعدد ـ والتثنية ـ واللاوويين.

فهل نفترض إذاً أن ذاك المستثار الشرير كان يسعى يوماً على قائمتين او أربع، ثم سلبه يهوه إياها وأرغمه أن يزحف على بطنه ؟ وإذا كان كذلك فعلاً ، فإن

هذه العقوبة غير عادلة، لأن الحية لم تكن طرفاً فى المسألة كلها، (ألا يؤكد الكنيسيون أن الشيطان أخذ صورة الحية وأغوى المرأة ؟)....

ويسترسل [ليوتاكسبل] الكلام هنا ويقول: " القصاص يجب أن ينزل بالمذنب الحقيقى....

لذلك حسناً يفعل الكنيسيون إذا صرفوا النظر عن حكاية الشيطان الذى أغوى أُمنا حواء، لأنها ليست أكثر من قصة للتسلية لا تصمد أمام أى مستوى من مستويات النقد، أما إذا أصروا عليها، فيجب عليهم أن يقروا عندئذٍ، فأنزله فى الحية البريئة وسلبها أطرافها "(١).

وإذا كان نقاد التوراة أنفسهم حكموا على ما ذهب إليه اليهود بخصوص الشيطان بانها قصة مسلية فهى كما نعلم توراة كُتبت فى فترة السبى البابلى، مما أضاف

إلى معتقداتهم بعض معتقدات الشعوب التى تأتى لهم العيش بين ظهرانيها، وخاصة الكلدانية أو البابلية.

بل نجد العقيدة الدينية عند بنى إسرائيل لم تميز الفرق بين الملائكة وهم الخلق الخير وبين الشيطان وهو الخلق الشرير، فعلى ضوء تراثهم فالشيطان يحضر بين يدى الله على الأرض مع الملائكة بل ويدخل فى حوار مع إله العهد القديم يتغلب فيه رأى الشيطان على رأى إله العهد القديم كما هو الأمر فى الحديث عن سيرة أيوب فى سفره، والملائكة الكائنات العلوية بكل صفاتها وطبقاتها تهبط إلى الأرض لتعاشر النساء من جماعات إسرائيل وخاصة البنات (٢).

وهذا بعيد كل البعد عن القرآن الكريم وحديثه عن الشيطان فالقرآن تحدث عنه وعن الجن وأوضح دوره فى قصة آدم، ورأينا العديد من الآيات القرآنية، قد

(٢) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير / ليوتاكسبل / ص ٣٣ وما بعدها.
(١) التراث الإسرائيلى فى العهد القديم / د/ صابر طعيمة / ص ٣٩..

تناولته وفرقت بينه وبين الجن وتحدثت عن خلقه وبينت أصناف الجن الثلاثة . الجن الصالح والشيطان والمارد والمريد العفريت.

ويقول تعالى " وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ " (١). ويقول تعالى "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ " (٢).

ويقول سبحانه وتعالى "قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ " (٣).

وليس ذلك فقط بل وضح سبحانه وتعالى أنه ما خلق الجن والانس إلا للعبادة قال

تعالى " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " (٤).

ولا نملك فى النهاية إلا أن نقول: إن قصة الخليقة فى العقائد الإسرائيلية والتى أفاض فيها [سفر التكوين] تشابه إلى حد كبير قصة الخليقة فيما تركه البابليون من ميراث عن معتقداتهم فى الإله بينما نجد القرآن الكريم تناول قصة الخليقة، بأسلوب يوافق العقل والشرع.

(٢)الصافات /آية / ٧.
(٣)الحج /آية / ٣.
(٤)النمل /آية / ٣٩.
(٥)الذاريات /آية / ٥٦.

الفصل الرابع

قضية الخلق والاستدلال بها على وجود الله الخالق

المبحث الأول: موقف سفر التكوين من القضية والاستدلال عن وجود الله:.

فى الحقيقة إن قضية الخلق كما قال بها سفر التكوين تكون وتبين عقيدتهم فى الإله ولكن أى إله هذا هل هو الإله الخالق المتصف بصفة الوجود، وأن وجوده منزه عن باقى وجود الموجودات أم ذلك الإله الغير المنزه عن ذلك وبالتالى تكون النظرة للإله متمشية مع الفكر المادى والوثنى المختلف ؟

إن كاتب (سفر التكوين] أرانا العجب العجاب فى النظرة إلى الإله.بل آرانا كاتب السفر[وهو وثنى] ربه فى هذا السفر وهو [يمارس] من الأعمال والأشياء نفس الأعمال والأشياء التى يمارسها الانسان.

إنه عند كاتب [سفر التكوين] يتمشى فى الجنة يتنزه تاركاً من مشيته أثر صوت وحركة فى الشجر وإذ كان الرب تعالى الله ويتنزه . تمشى فى الجنة سمع آدم وحواء صوته عند هبوب الريح فاختبأ آدم وآمراته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت ؟ فقال: سمعت صوتك فى الجنة لأنى عريان فاختبأت ومن مثل هذه الصور والنماذج يكثر الحديث فى[سفر التكوين] عن الإله وحركته وتجواله فى الجنة ومخاطبته بعض خلقه . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وهذه الصورالمغرقه فى المادية والوثنية ما كان لكاتب [سفر التكوين] أو غيره من كتاب الأسفار أن يقع فيها وأن ينقلها لولا المؤثرات الدينية الوثنية التى كان ينقل منها مما كان لدى الأمم والشعوب وذلك واضح كل الوضوح من خلال ما يدعيه سفر التكوين على الإله حينما قال: "فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل... "(١).

وهكذا يمضى كتاب الأ سفار المقدسة فى العهد القديمً ولا يعقلون فبهذه الصورة التى ينقلها إلينا كتاب الاسفار تكون العقيدة عندهم فى الاله. ثم يجترأ الكتاب والمؤرخون بأن يهود العهد القديم هم أول من عرف الاله الخالق رب العالمين وأنهم أول من بشروا فى كتبهم بالإيمان وبمجئ المخلص فالنص هنا يرد أن يقول: سمع أدم وحواء صوت الرب ما شياً ولم يسمعهما الرب فقد نادى الرب الاله آدم وقال له: أين أنت، ولايستحى كاتب السفر ان ينسب إلى خالق آدم هذا الاستفهام الدال على الجهل التام عند السائل: هل أكلت من الشجره ؟ وكأنه لايعلم إن كان أكل أولا يأكل واضخ تماماً من هذه النماذج وغيرها كثير تفيض به أسفار كتب العهد العديم أن إله بنى إسرائيل فى مرويات العهد القديم

وتراثهم لم يعرفوه رباً خالقاً يغاير الخلق والأشياء لكنه إن صدق عندهم أنه رب فهو رب يغاير أرباب الشعوب والقبائل الوثنية التى كانت لا تزال بقاياها فى عقل وعواطف المجتمعات المتخلفة والتى انتقل تراثها إلى كاتب الأسفار فتأثربها ونقل عنها ولم يخلص لهم فى يوم من الأيام رباً تميز عن غيره من الارباب الوثنية التى كانت شائعة فى العصور القديمة قبل البدء فى كتابة وتدوين الأسفار وبعدها، وكيف يكون لهم غير ذلك وكاتب [سفر التكوين] يلعب به خياله ويشتط به الهوى الجامح فى نقل أساطير الشعوب.
بغير رؤية وبغير عقل (٢).

(١) سفر التكوين /الأصحاح ٣ /عدد ٦.
(١) التراث الإسرائيلى فى العهد القديم،موقف القرآن منه / ص ٣٦٥ وما بعدها.

وقصة خلق الكون كما تعرضنا لها سابقاً وضحت إلى أى مدى وقع كتاب العهد القديم فى الأصحاح الأول والثانى فى التشبيه والتجسيم حينما نسبوا العناء والاجهاد الذى حل بالههم فى يوم الخلق السادس فاستراح فى اليوم السابع وباركه وقدسه [١]. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن هنا يمكننا القول: كما قال د/ صابر طعيمة: أين العقيدة الدينية التى تقوم على الايمان برب خالق ينفرد بالخلق ويغاير مخلوقاته فى مرويات العهد القديم، وهل يستطيع باحث منصف أن يرى قضية " الألوهية فى العهد القديم من خلال هذه النصوص مطروحة بغير مؤثرات الوثن والصين وأساطير الخرافة فى الأمم البدائية [٢].

وهنا سؤال يطرح نفسه ألا وهو خلق العالم هل هو بعد عدم محض أو أنه خلق من مادة سابقة بمعنى أن الله تعالى خلق العالم بعد عدم محض.

هذه النظرية قد لا نجد لها ما يثبتها ويؤكدها بوضوح حسم فى نصوص الكتب المقدسة سواء عند اليهود أو النصارى أو المسلمين، ولكن يمكن أن نعثر على بعض العبارات التى يمكن أن تعدها تفسيراً لهذه العبارة حول تفسير قصة خلق العالم،كما جاءت فى سفر التكوين GENSIS بمعنى أنه خلق " من شىء " دون توضيح ما إذا كان ذلك [الشىء قديماً] أزلياً أو حادثاً مخلوقاً ناشئاً وصادراً عن الله ؟.

وعند ابن ميمون (وهو فيلسوف يهودى) وفى تسائله عما إذا كان النور والثلج الموجودان . قبل خلق العالم . قديمين [أزليين] أو مخلوقين، فإن هذا التساؤل يتضمن خلقا للعالم "من شىء" له وجود سابق، ومن الشىء صدر عن الله تعالى [٣].

(٢) سفر التكوين /الأصحاح الأول والثانى.
(٣) التراث الإسرائيلى / ص ٣٧٣ وما بعدها.
(٤) دلالة الحائرين /لابن ميمون / ص ١٨٨.

وكانت تعاليم الحاخامات "RABBIS " المباشرة فى جانب أن الله تعالى خلق العالم "من شئ " هو أيضاً مخلوق، وحين يجد الحاخام أن فيلسوفاً قد يحتج بأن بعض النصوص فى سفر التكوين تشير إلى أشياء قديمة لها وجود سابق على

وجود هذا العالم، وأن من هذه الأشياء خلق الله العالم، فإن الحاخام" RAB B " يقتبس نصوصاً كتابية أخرى ليبين أن هذه الأشياء المدعاه بأنها قديمة هى فى الحقيقة حادثة مخلوقة أيضاً، على الرغم من كونها سابقة فى وجودها على وجود العالم ومن هنا فإن الحاخام كان يصير على ما يسميه خلقاً من عدم، دميما يكن فإنه لا توجد عبارة حرفية . عند الحاخامات تدل على أن خلق العالم كان " لا من شىء " (١).

هذا إذاً كان موقف سفر التكوين من قضية الخلق والاستلال بها على وجود الله الخالق والذى من خلاله عرفنا أن اليهود لم يعرقوا بين طبيعة المخلوقات وإلا كان بالخالق.

(١) المسالك [الطرق] الفلسفية للمتكلمين فى مسألة خلق العالم / أ. د / عبد العزيز سيف النصر /ص ٦٧٢.

المبحث الثانى: موقف القرآن الكريم من القضية والاستدلال بها على وجود الله الخالق :.

كلنا نعلم جيداً أن القرآن الكريم لم يدلل على وجوده تعالى، ولكنه دلل على وحدانيته، ومع ذلك يمكننا أن نستنبط أدلة على وجوده تعالى، من خلال الآيات الدالة على وحدانيته وعموم قدرته، وخلقه للكون. فهذه المخلوقات فى هذا الكون الفسيح، دليل على أن لها خالقاً، والإ ما وجدت، وإن خالقها قادر على الإيجاد والإعدام وهو الله.

يقول تعالى " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً "(١).

و يقول تعالى "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ "(٢).

(١)البقرة /آية / ٢٩.
(٢)الأنبياء/٣٠ـ ٣٣.

ولعل البرهان القرآنى الذى ورد فى سورة الأعراف كنموذج فى التعريف بالخلق على الخالق ليس بالأمر الذى يحتاج إلى لغظ أو تأويل بل لا يسمح مطلقا فى مباشرته الواضحة بما يقوله القئلون بالنشبيه أوالتجسيم مثلما فعل كتاب العهد القديم فى قصة خلق الكون فى سفر التكوين من الاصحاح الأول والثانى فى نسبتهم للعناد والاجهاد الذى حل بإلههم فى يوم الخلق السادس فاستراح فى اليوم السابع وباركه وقدسه [١].

ولكن خالق الخلق فى القرآن الكريم هو سبحانه بتلك القدرة التى يغاير بها كل مخلوقاته ولا يتماثل مع الخلق شئ من خواص خلقه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، يقول سبحانه فى دعوة واضحة جلية الدلالة قوية البرهان ويوجهها سبحانه للناس جميعاً فلا يخص قطاعاً بين البشر دون غيرهم ولكنه كما يقول: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " [٢].

وفى شرح هذه الآية الكريمة يقول الإمام القرطبى رحمه الله فى تفسيره قوله تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ " بين تعالى أنه المنفرد بقدرة الايجاد فهو الذى يجب أن يعبد.

والحقيقة أننا لو تدبرنا فى آيات الله تعالى فى الذكر الحكيم، والتى من خلالها استشهدنا على خلق السموات والأرض وخلق الانس والجن والملائكة جميع مخلوقاته، لأدركنا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شىء بغير مماثلة فى الخلق وانفراده سبحانه بخلق كل شىء.

والقرآن الكريم كتاب الله الذى يحتوى على براهين وآيات بعيده عن الصنعة الكهنوت والرموز والطلاسم هذه الايات تدل على انفراد الخالق سبحانه وتوحده ومغايرته للخلق بحكم أنه رب كل شىء وخالق كل شىء، ومنطق وبرهان القرآن يراهما المؤمن وكل دلالة فيهما من خلال عطاء القرآن الكريم ومنهجه

(٣) سفر التكوين /الأصحاح الثانى/ فقرة ٣.
(٤)الأعراف /آية / ٥٤.

تغاير منهج ومنطق كتاب اسفار التراث الإسرائيلى فى العهد القديم فى معظم ما ذهبوا إليه، وترفض هذه البراهين تماماً كل أساليبهم عن الله الخالق رب العالمين لأنهم على ضوء ما عرفوه يشابه الخلق ويتماثل معهم وتحل عليه الصور والأشكال والرموز وتتغاير طبيعته من حال لحال ومن موقف لآخر ورب القرآن الكريم ليس كمثله شىء وهو السميع البصير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (١).

والقرآن الكريم بطبيعته يدفع إلى التفكير فى القضايا الكونية التى تعمق ايمان المؤمنين حين يضعهم المنهج الإلهى فى القرآن الكريم أمام قضية القضايا، وهى قضية الخلق كبرهان على الخالق سبحانه وهذه القضية التى هى فى منطق المؤمن ايجاد من العدم يستطيع بها أن يميز بين نوعين من الوجود: وجود خاضع منفصل تندفع فيه المادة وحركتها وقوانينها وكل ما يمكن أن يكون فى الكون من أنواع الطاقة والقدرة فهى ليست خاضعة لسنة قانون، والقانون نفسه ليس الإ حادثة مصنوعة، وارتباط أو اقتران فيه ذلك النسق الذى هو بين اجزاء هذا الكون (٢).

ومسألة الخلق فى القرآن الكريم تعد من المسائل التى لا نرد بها فقط على سفر التكوين، ولكن نرد بها أيضاً على نظرية التطور عند دارون (٣).

والتى تنص على أن " جميع الأنواع الموجودة، من النبات والحيوان، ناشئة عن أنواع أخرى أحط منها، ومتسلسلة عنها، وصورها متحولة عن صور منحطة بالنسبة إليها. وهكذا حتى ينتهى الجميع إلى أصل واحد منحط جداً، أو بضعة أصول، ويعللها دارون بالجهاد المستمر بين الأحياء، وتنازعها على البقاء

(١) التراث الإسرائيلى فى العهد القديم/ د/صابر طعيمه / ص ٧٩٦ وما بعدها،ص ٨.٥ وما بعدها. بتصرف يسير، الوسوسة والإيمان / د/ جميل إبراهيم السيد الشرقاوى / ص ٣..

(٢) التراث الإسرائيلى فى العهد القديم/ د/صابر طعيمه / ص ٨.٧.

(٣) شارل دارون (١٨.٩ /١٨٨٢) ولد فى مدينة شوسيرى واهتم بالصيد والكلاب حتى قال له والده يوماً: ستكون عاراً على عائلتك وعلى نفسك ولم يفلح فى تعلم الطب فانتقل إلى كمبردج واهتم بالحشرات وتعرف بالعالم النباتى هنسلو واستقر أخيراً فى مدينة دارون قرب لندن.

المستلزم لفناء الضعيف وبقاء الأنسب والأقوى على تحمل عوارض الوسط، أى ظروف البيئة التى تعرض للكائنات الحية.

فالبيئة الداروينية تفترض عودة، الأحياء جميعاً إلى أصل واحد، أوعدة أصول بسيطة، ثم بفعل التنازع على البقاء، يبقى الأصلح ويذهب غيره، وفق قانون الانتخاب الطبيعى. وهى فى هذا تتطور وتترقى، وفى تطورها وترقيها، تنشأ أنواع جديدة لم تكن موجودة، ولقد وصل الترقى إلى أرفع صورة فى الانسان.

ويرى دارون أنالعلة وراء هذا التطور، هو أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع، باضافة أعضاء أو وصفات جديدة، يستطيع بوساطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة، وقد أدى ذلك إلى تحسن نوعى مستمر، نتج عنه أنواع جديدة راقية كالقردة، ونوع أرقى وهوالانسان، أما البعض الآخر، فقد حرمته الطبيعة من ذلك فتعثر وسقط.

والطبيعة، إذ تهب هذا وتحرم ذلك، لا تنتج خطة مرسومة، بل تخبط خبط عشواء . على حد قوله . كما أن خط التطور ذاته متعرج ومضطرب، لا يسير على قاعدة منطقية مطردة " [1].

ودارون لم يستثن الإنسان من عملية التطور، وكان قد ترك أمر أصل الإنسان معلقاً، فى كتابه (أصل الأنواع)، لكنه فى كتابه (تسلسل الإنسان)، عاد فقرر أنه لا داعى لإستثناء الإنسان من تطبيق فرض التطور، وصرح بأن الفرق بين الانسان والحيوان، فرق بالكم أو الدرجة فقط، دون النوع، فنوع الإنسان من جنس الحيوان، لكنه قطع فى التطور مرحلة أكبر،

فسبق غيره، وأصاب الترقى قواه الفعلية والروحية أكده، دارون المسافة بين القوى الفكرية لحيوان من أدنى الفقريات، والقوى الفكرية لقرد من القردة العلياه أكبر من المسافة بين القوى الفكرية فى القردة، وبينها فى الانسان [2].

ويدعى دارون أن الانسان تطور من سلالة حيوانية سبقته كانت القرود آخرها، فقد قدم دارون رسالة لجبله ورد قيها ما يأتى: " حسبكم أن تدرسوا الطريقة التى

(١) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة / سفر بن عبدالرحمن الحوالى / ص ١٧٨ وما بعدها / ط ١ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٢) فى المذاهب المعاصرة / د / أحمد عبده حموده الجمل / ص١٥٨ وما بعدها.

تنشىء بها الطبيعة وينشىء بها الانسان صوراً جديدة من الكائنات الحية فى العالم اليوم، ليكون لكم من هذا تفسير معقول للطريقة التى بلغت بها الأرض فى غضون تاريخها الماضى الطويل. هذا التعدد العظيم فى بناتها وحيوانها وإنسانها ولغاتها البشرية..... "

الخلاصة: أن دارون سعى إلى اقناع النوع البشرى بأن جنة عدن مازالت باقية وأننا نحن المقيمين فيها لا نزال قادرين على دراسة طريقة الخلق والرد على السؤال الخاص بكيفية وجود السلالات البشرية.

ويقرر دارون أنه لا يوجد من بين من يعيشون على الأرض من الرجال والنساء والأطفال اثنان متشابهان تشابها كلياً ولا تستطيع الطبيعة أن تخرج صورة طبق الأصل من أى كائن حى، وكل ميلاد جديد هو تجربة جديدة فى الخلق.

جعل تشارلز دارون من هذه الحقيقة دعامة تستند إليها نظريته فى التطور.

وخرج دارون من هذا كله إلى أن التطور أو الخلق مازال مستمراً فى عالم الإنسان لأن كل طفل يولد فى العالم يحمل معه. مجموعة جديدة من السمات الجثمانية والصفات العقلية، وأن بعض هذه السمات والصفات يرفع من شأن أصحابه ويؤهلهم للفوز فى الكفاح المستمر، وبعض الصفات يحط من شأن أصحابه ومآل من يتصف به إلى الانفراض [١].

وقد رأينا من خلال عرضنا السابق لمسألة خلق الإنسان فى القرآن الكريم، وصف صريح حول الطريقة التى تم بها خلقه، فهى طريقة ظاهرها ينافى أن يكون الإنسان متطوراً من.... الحيوانات التى هى دونه فى الخلق [٢].

ولهذا لا يجوز للمسلم أن يعتقد فى خلق الإنسان غير كونه خلق خلقاً مستقلاً، مباشراً وهو على هيئته التى خلقه الله عليها، لم يتحول عن نوع آخر أدنى. "

وإذا كان أنصار التطور يؤولون النصوص بأنها تتحدث عن الخلق الأول، و"أن" الخلية الأولى من طين، ،أن آدم صورة منها، بعد مراحل من التطور، وهذا لا يتعارض مع القرآن، فإنا نقول، إذا استطاع المؤولون أن يؤولون آيات

(١) حقيقة الإنسان / د/ عيسى عبده وغيره / ص ٥٤ وما بعدها.
(٢) فى المذاهب المعاصرة / د / أحمد عبده حموده الجمل / ص٢١٨ وما بعدها.

القرآن فماذا يقولون فى الأحاديث النبوية التى تفيد بأن حواء خلقت خلقاً مستقلاً من ضلع آدم ؟

روى البخارى عن أبى هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ : " استوصوا بالنساء خيراً. فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بانساء خيراً " (١).

إنه من المعلوم بالضرورة من الدين الإسلامى، " بل ومن أمهات الأديان الثلاثة أن أصل جميع البشر، من غنسان ابتدع الله خلقه من التراب، ومن امراة ابتدع الله خلقها أيضاً، ولم يكونا قبل ذلك حيواناً ولا نباتاً، فنوع الإنسان مستقل فى الخلق عن سائر الأنواع وكونه ضرورياً واضح [لدى الدينيين] ولدى غيرهم ممن عرف مذهبهم " (٢).

وقد تعرضنا أثناء حديثنا عن خلق آدم وحواء للعديد من النصوص القرآنية، التى تؤكد بأوضح بيان أن خلق آدم – عليه السلام – حدث قبل أن ينفخ فيه الروح، على هيئته الكامل السوية، دون أن يمر بمراحل التطور، كما يدعى المذهب الداروينى، لتتضح معجزة الخلق الأول وهى أمر الله للشىء كن فيكون "(٣).

ومن جميل ما قرره العلم فى ذلك، هو أن الإنسان، لايمكن أن يكون نتيجة عملية تطور، بل هو هكذا وسيظل، فهذا [ألفريد رسل والاس].. يقرر أن الإرتقاء بالإنتخاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان، ولابد من القول بخلقه رأساً، وهذا [شابمان بنثر]،وهو من علماء التشريح، يقول:إنه لا إحتمال لتسلسل الإنسان من القردة كما نعرفها، لأن القردة منفردة بتركيب خاص يستحيل تشريحياً أن يتطور منه تركيب الإنسان " (٤). ومن داخل قرار العلم،

---

(٣) رواه البخارى.

(٤) نقد فلسفة دارون / جـ ١ / ص٤٢،٤٣/ نقلاً عن كتاب [فى المذاهب المعاصرة]/ د / أحمد عبده حموده الجمل / ص٢١٩ وما بعدها.

(١) شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان / لعبدالله ناصح علوان / ص ٦٦ / ط ٥ /١٤٠٤ هـ / دار السلام للطباعة نقلاً عن [فى المذاهب المعاصرة] ص ٢١٩.

(٢) نفس المصدر / ص ٢٢..

أنه " لو اكتشفت الحلقة المفقودة " فإنها لا تثبت التطور، لأن النفس الناطقة أمر معنوى لا مكان له فى الآلات والأعضاء المحسوسة " (١).

إن التكوين الروحى للإنسان، يعرب عن معجزة الله تعالى فى الإنسان، وهذا التكوين، الذى هو مناط العلم والعفة فى الإنسان، هو الذى جعل من الإنسان خليفة فى الأرض، وجعل منه صانع الحضارات ورائد حركة التطور والرقى فى كل مظاهر الحياة.

وأخيراً نقول إن نظرية التطور، لا تعلو أن تكون استنتاجاً نظرياً " وليس أمراً علمياً، مؤيداً بالشواهد من الواقع، إذ لم يلاحظ الباحثون فى الطبيعة ولا فى المختبرات حالة واحدة من حالات التطور المتخيلة، لكن التخيل طرح ذلك على الأحقاب الزمنية الغايرة، وتخلص من المطالبة بالشواهد من الواقع (٢).وتبدو نظرية التطور عند فريق من الباحثين على أنها لا تقل عن أى قصة خرافية حافلة بأغرب المخلوقات كالغيلان.

بل لقد جاء العلم بأكثر من دليل على فساد نظرية التطور، فالعلم الحديث الذى أشرق على العالم منذ ثلاثة قرون كشف عن عجيب ما صنع الصانع، كشفه فى النبات وهو صنوف لا عداد لها، وكشفه فى الحيوان وهو أجناس لا حصر لها، وكشفه فى الإنسان أسمى المخلوقات وأرقاها. وبرغم ما أثبته العلم الحديث فما زالت هناك فئة خيالة تقول بالخلق والتخلق، ومن هذه البقية الإنجليزي [جوليان هكسيلى] الذى ألف كتاب أسماه[الإنسان يقوم وحده]
Man Stands Aloone وهو فى ذلك يسير على درب سار عليه جده من قديم فجده [توماس مكسلى ١٨٢٥ /١٨٩٥] صاحب دارون وناصره فى القرن الماضى . وقد انبرى لهذا العالم الضال عالم آخر هو [كريس موريسوس الذى ألفا كتاباً أسماه[الإنسان لا يقوم وحده] Does Not Stand Aloone Man

(٣) نظرية التطور عند مفكرى الإسلام / ص ٢٣٢، فى المذاهب المعاصرة / ص ٢٢..
(٤) المصدر السابق / ص٢٢٢.

أراد بذلك أن يقول إن الإنسانيقوم فة هذه الدنيا ومعه الله وقد أثبت هذا العالم بأدلة علمية قاطعة فساد الرأى القائل بالخلق والتخلف (١).

وهذه هى الحقيقة التى لا يجب أن تغيب عنا جميعاً فجميع الروايات التى تناولها سفر التكوين بل والتوراة عن قصة الخليقة لا تبدوا سوى نوع من القصص الخرافية، وكذا نظرية التطور هى أيضاً قصة خراقية وظنية من وحى العقل واستنتاجه، وكلها أمور احتمالية.

وأخيراً وقبل أن أختم بحثى أتوقف أيضاً مع نقطة هامة هى مسألة خلق العالم وهل هو بعد عدم محض أو أنه خلق من مادة سابقة على وجوده المتعين ؟ هذه المسألة عند المسلمين قد يشوبها بعض الغموض والاحتمالات فمن جهة نجد آية يبدو أنها تتضمن أن العالم خلق من شىء سابق على وجوده وهذه الآية هى قوله تعالى " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ "(٢).

وهذه الآية تحتمل تفسيرين:

فطبقاً لما جاء فى الكشاف للزمخشرى فى تفسير هذه الآية فإن العالم نشأ عن الماء الموجود تحت عرش الله، وعرش الله هو أحد الأشياء المخلوقة قبل خلق السموات والأرض، يقول الزمخشرى: " وقيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء، فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه، فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها أرضين، ثم خلق السماء من الدخان المرتفع " (٣).

وطبقاً لابن رشد فإن هناك تفسير " آخر لهذه الآية، وهو يقرر أن الآية تعنى أن السماء خلقت من (شىء)أى من شئ قديم (أزلى) يقول ابن رشد " أن قوله تعالى: "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء " يقتضى بظاهره أن وجوداً قبل هذا الوجود الذى هو عدد حركة الفلك " (٤).

---

(١) حقيقة الإنسان / د/ عيسى عبده أحمد إسماعيل / ص٥٦ / الكتاب الأول / دار المعارف.

(٢) فصلت /آية ١١.

(٣) الكشاف / الزمخشرى / جـ ٣ /ص٣٨٥، المسالك الفلسفية للمتكلمين فى مسألة خلق العالم /أ. د / عبدالعزيز سيف النصر / ص ٦٧٤ وما بعدها.

(٤) فصل المقال /ص٤٤.

ويقول تعالى " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ" تقتضى بظاهره أن السموات خلقت من شىء " (١).

ولكننا نجد فى القرآن الكريم آيات أخرى يبدو منها أن خلق العالم كان بعد عدم محض سابق على وجوده، ففى بعض الآيات حيث يلقى الله تعالى بمجموعة من

التحديات فى مواجهة الكفار الذين اتهموا النبى محمداً - ﷺ - بتلفيق القرآن يقول الله تعالى:" أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ. أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ " (٢).

فالله تعالى يقول: " فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ " ومن ثم يقول " أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" وبين هذين التحديين يقول الله تعالى: "أَمْ خُلِقُوامِنْ غَيْرِ شَيْءٍ " وعبارة " مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ "يمكن أن تحمل على أنها تعنى "من لا شىء " وإذا حملت على على هذا المعنى، فإنها تتضمن السؤال التالى فى قوله تعالى: " أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" يعنى أم خلقوا السموات والأرض "
من لا شئ أيضاً ؟

ومهما يكن فإن الآية التى تتضمن هذا السؤال، وفيها هذه العبارة " من غير شىء " يمكن أيضاً أن تحمل على أنها تعنى: أم خلقوا بدون شىء أى من غير فاعل [خالق]، أو أنها تعنى: أم خلقوا عبثاً ودون فائدة ؟

وفى السنة ورد أنه قبل خلق العالم " كان الله ولا شىء معه "، ولكن هذا الحديث قد لا يعنى بالضرورة خلقاً مسبوقاً بعدم محض، وإنما يمكن أنه يعنى فقط أن الله تعالى هو الخالق الوحيد، وأنه المتفرد وحده بخلق العالم وليس معه

(٥) نفس المصدر / نفس الصفحة،، المسالك الفلسفية للمتكلمين فى مسألة خلق العالم /أ. د / عبدالعزيز سيف النصر / ص ٦٧٥ وما بعدها.
(١) الطور ٣٣ /٣٦.

شريك فى الخلق" (١).

ولفظ بديع فى قوله تعالى: " بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (٢)

لا يعنى بالضرورة أنه خالق السموات والأرض بعد محض، ونجد مثل هذا الرأى عند الجرجانى حيث يقرر أنه فى حالة خلق الله تعالى للإنسان، فإن المصطلح المستعمل هو خلق كما جاء فى قوله تعالى:" خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" (٣).

ويقول الجرجانى: " الإبداع إيجاد الشىء من لا شىء، وقيل الإبداع تأسيس الشىء عن الشىء " والخلق إيجاد شىء، من شىْ "،

قال تعالى:" بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وقال خلق الإنسان والإبداع أعم من الخلق، ولذا قال بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، خلق الإنسان

ولم يقل بديع الإنسان " (٤).

ويعلق أ. د / عبدالعزيز سيف النصر حول هذه المسألة بقوله: وعلى وجه العموم فاننا يمكننا أن نفترض أن المسلمين الأوائل . قبل ظهور المتكلمين .

قد عرفوا أن الخلق " الحدوث " يضاد القدم والأزلية، وأنهم أدركوا أن الله تعالى خلق العالم، ولكنهم لم يتجادلوا حول هذه المسألة (المعضلة) وهى هل خلق الله تعالى العالم " لا من شىء " أى لا من مادة سابقة على الوجود المتعين للعالم ؟ أو أنه خلق العالم " من لا شىء " أى من مادة غير معينة سابقة على الوجود المتعين للعالم ؟ وهذه المسألة " المعضلة " هى التى تجادل حولها المتكلمون حين ثار النزاع بينهم حول " المعدوم " والعدم السابق على

(٢) صحيح البخارى.
(٣) البقرة / آية ١١٧.
(٤) الرحمن / آية ١٤.
(٥) التعريفات / للجرجانى / ص٧.

الوجود [١].

نتائج البحِث

(١) المسالك [الطرق] الفلسفية للمتكلمين فى مسألة خلق العالم / ص ٦٧٥ وما بعدها.

لقد خرجت من بحثى هذا بعدة أمور هامه وهى على النحو التالى: .

١ـ لقد عرض سفر التكوين قصتين مختلفتين أو روايتين عن الخلق وأن كلا منهما موضوعة تمثلان مرحلتين مختلفتين من تطور الديانة اليهودية مما يدل على مدى التضارب وفقدان السند المتصل لروايات التوراة.

٢ . التضارب الواضح فى سفر التكوين فى قضية خلق السموات والأرض فمرة يقال أنهما خلقتا فى اليوم الثانى والثالث، ثم قبل أنهما خلقتا فى اليوم الأول .

٣ . اختلاف رواية القرآن الكريم تماماً فى خلق السموات والأرض عن رواية سفر التكوين فالقرآن الكريم حينما يتحدث عن اليوم لم يتناوله باعتباره فعلاً أياماً كأيامنا ذات صباح ومساء، كما عرض سفر التكوين، وانما هى فترات أو مراحل غير محددة وليس أياماً بالمعنى الحقيقى، بدليل قوله تعالى: " يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " (١).

وكل ذلك دفع بعدم قبول النص التوراتى.

٤ . قضية اليوم السابع فى سفر التكوين والاستراحة المزعومة التى نسبوها لله تعالى ما هى إلا مجرد اسطورة تأثرت بها التوراة من الديانات الوثنية القديمة التى ملئت بالتشبيه والتجسيم حيث تنظر للاله على أنه يأكل ويشرب ويستريح ويتعب وخاصة أن كاتب الرواية الأولى للتوراة كان أمامه التراث البابلى يأخذ منه ما يروق له وما يتمشى مع وثنيته.

٥. قصة الخلق فى التوراة قد حمّلت أمنا حواء مسؤلية الغواية لآدم من أولها إلى آخرها وخرجت الشيطان من القصة تماماً مما ترتب عليها أن المجتمع نظر للمرأة نظرة الكره واعتبارها المسؤله الأولى على هذه الخطيئة على الرغم من أن القرآن الكريم قد برئها بقوله تعالى: " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا

(١) السجدة /أية / ٥.

مِمَّا كَانَا فِيهِ " (١).

٦ـ لعبت الحية الدور الأكبر فى قصة خلق آدم وحواء سواء كان فى التوراة العبرانية أو السامرية.

٧. إن ما ورد عن قصة الخلق فى التوراة لا يتعارض فقط مع القرآن الكريم بل يتعارض أيضاً مع العلم الحديث، كما يتعارض مع أقوال بعض نقاد الكتاب المقدس أمثال فلهاوزن الذى قال: بأن قصة الخلق فى سفر التكوين مجرد نتاج إنشائى لمؤلف المصدر الكهنوتى، وأمثال ليوتاكسبل، وموريس بوكاى.

٨ ـ بين البشر والإنسان فرق كبير حيث أن "البشر" لفظ عام فى كل مخلوق ظهر على سطح الأرض، يسير على قدمين منتصب القامة، و" الإنسان " لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفاً بمعرفة الله وعبادته وكل لإنسان بشر، وليس كل بشر لإنساناً.

٩ ـ عقيدة بنى اسرائيل لم تفرق أو تميز بين الملائكة . وهم الخلق الخير والذين قال الله تعالى فى حقهم " لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (٢). كيف يتهمهم اليهود وبالتحديد تلمودهم بما لا يصح ولا يحق فى حقهم.

١ـ كذب التلمود والذى يعده اليهود التوراة الحقيقية بزواج نبى الله سليمان – عليه السلام – من الشياطين وهو الذى قال القرآن الكريم فى حقه "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (٣).

١١ . لقد اختلفت منزلة الانسان فى الإسلام تماماً بالنسبة إلى الله اختلافاً كبيراً عما هى عليه فى اليهودية والمسيحية. ذلك أنهما تصدقان بما جاء فى الكتاب المقدس (٤) من أن الله خلق الانسان على صورته.ويستحيل على

(٢) البقرة /أية / ٣٦.
(١) التحريم /أية / ٦.
(٢) النمل /أية / ١٥.
(٣) سفر التكوين / ١ / ٢٦ ـ ٢٧.

الاسلام كما يقول المؤلف [فريتس شتيبات] [1] ونؤيده القول . أن يقبل هذه الصيغة، وذلك بسبب نفوره الشديد من أى نزعة تشبيهيه.

تم بحمد الله والله تعالى أعلى وأعلم.

فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.
٢- أبى آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة / د/ عبدالصبور شاهين /دار أخبار اليوم قطاع الثقافة.
٣- الأحاديث المختارة / جـ ٤ / تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دميش / ط١ / مكة المكرمة.
٤- إحياء علوم الدين / للامام الغزالى /جـ٢.
٥- الإسرائيليات فى تفسير الطبرى دراسة فى اللغة والمصادر العبرية د/ آمال محمد عبدالرحمن ربيع. القاهرة ٢٠٠٥ م.
٦- الإسلام فى موجهة الاستشراق العلمى / د/ عبدالعظيم المطعنى/ ط ٢/ ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
٧- بدائع الزهور فى وقائع الدهور /الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفى /ط١/١٩٨٢ م،١٤٠٢ هـ /نشر دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.
٨- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية /د/ فتحى محمد الزغبى / ط١ / ١٩٩٤م، دار العلوم للثقافة والعلوم الإسلامية
٩- تاج العروس للزبيدى / جـ ٥/ فصل الهمزة باب الضاد
١٠- تاريخ الأقباط / لزكي شنودة.

(٤) راجع الإسلام شريكاً دراسات عن الإسلام والمسلمين / ترجمة د/ عبدالغفار مكاوى سلسلة عالم المعرفة / أبريل ٢٠٠٤م.

١١- تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتي العصر الحديث / تحرير زالمان شازار / ترجمة أحمد محمد هريدى / تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن / المشروع القومي للترجمة.
١٢- التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه/ د/ صابر طعيمة /نشر دار الجيل – بيروت ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م
١٣- الوسوسة والإيمان / د/ جميل إبراهيم السيد الشرقاوى.
١٤- التعريفات / للجرجانى .
١٥- تفسير ابن كثير/ جـ١، جـ ٢، جـ٣، جـ٤ ط/ دار الفكر .
١٦- تفسير أبي السعود / جـ ٣.
١٧- تفسير الفخر الرازى / للإمام محمد الرازى فخر الدين / جـ ٢ /ط ١ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م / دار الفكر للطباعة.
١٨- تفسير القرطبى لمحمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج القرطبى / جـ١ نشر دار الشعب القاهرة / ط ٢.
١٩- التفسير الكبير /جـ٤،جـ ٨.
٢٠- تفسير المنار/السيد محمد رشيد رضا /جـ١، ٨/الهيئة المصرية العامة للكتب.
٢١- التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير/ ليوتاكسبل / ترجمة د/ حسان مخائيل اسحق.
٢٢- جامع البيان فى تفسير القرآن /جـ٢٦ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ المنثور فى التفسير بالمأثور م
٢٣- الجامع لأحكام القرطبى /جـ ١.
٢٤- حقيقة الإنسان / د/ عيسى عبده أحمد إسماعيل / الكتاب الأول / دار المعارف.
٢٥- الدر / للسيوطى . م٧ / دار الفكر بيروت.
٢٦- دلالة الحائرين /لموسى بن ميمون القرطبى الأندلس/ جـ١-٣ /مكتبة الثقافة الدينية/ تحقيق د/ حسين آتاى.

٢٧- روح المعانى للامام أبى الفضل الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧. هـ / ط دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان.
٢٨- شبهات وردود حول العقيدة الربانية وأصل الإنسان / لعبدالله ناصح علوان / ط ٥ /١٤٠٤ هـ / دار السلام للطباعة.
٢٩- شرح النووى على صحيح مسلم /جـ١ / ط٢ / دار إحياء التراث العربى بيروت.
٣٠- الشيطان والانسان / للشيخ محمد متولى الشعراوى/ ط مؤسسة أخبار اليوم إدارة الاشتراكات.
٣١- صحيح ابن حبان / لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى / جـ ٣/
٣٢- صحيح البخارى / جـ ٤ / نشر ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. تحقيق د/ مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير اليمامة بيروت.
٣٣- صحيح مسلم للنووى /جـ٤ / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى /دار إحياء التراث العربى بيروت.
٣٤- عرائس المجالس/ لأبى إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى / المعروف بالثعلبى مكتبة الإيمان بالمنصورة .
٣٥- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة / سفر بن عبدالرحمن الجوالى / ط ١ / ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م.
٣٦- على التوراة: كتاب فى نقد التوراة اليونانية للشيخ الفقيه / على بن محمد بن عبد الرحمن.
٣٧- الفائق/ جـ١، جـ ٣.
٣٨- فصل المقال / للأمام الغزالى .
٣٩- الفصل فى الملل الأهواء والنحل / لابن حزم الأندلسى / جـ٤ / دار الجبل – بيروت . لبنان ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م.
٤.الفصل فى الملل والأهواء والنحل / الإمام ابن حزم الأندلسى /جـ ١ / دار الكتب العلمية بيروت /ط٢ / ١٤٢. هـ ١٩٩٩ م.

٤٠- الفكر الدينى اليهودى أطواره ومذاهبهة د/حسن ظاظا /ط ٤ /١٤٢. هـ ١٩٩٩ م / نشر دار القلم دمشق . الدار الشامية بيروت.
٤١- فى المذاهب المعاصرة / د / أحمد عبده حموده الجمل.
٤٢- فى رحاب القرآن / د/ محمد شامة / ط ١٩٨٨ م .
٤٣- القرآن وقضايا الإنسان / د/ عائشة عبدالرحمن /بنت الشاطىء / دار المعارف ١٩٦٩ م.
٤٤- قصص الأنبياء / عبدالوهاب النجار ونشر مكتبة دار التراث.
٤٥- قصص الأنبياء / للثعلبى .
٤٦- القول السديد فى علم التوحيد /أ /محمود أبو دقيقة /جـ٣ / تحقيق أ / د/ عوض الله حجازى ط١ / ١٩٩٥ م.
٤٧- كتاب التاريخ / باب بدء الخلق ١٤. / ٢٦ / حديث ٦١٥٦. / ط٢ / تحقيق شعيب الأرنؤوط / نشر ١٤١٤هـ ١٩٩٣ م،
٤٨- الكشاف / الزمخشرى / جـ ٣،
٤٩- الكنز المرصود فى فضائح التلمود / د/ محمد عبدالله الشرقاوى / نشر مكتبة الوعى الإسلامى.
٥٠- لسان العرب / ابن منظور /ج ١، ٢، ٣، ٧/ ط دار المعارف طبعة جديدة ومحققة.
٥١- المجتمع اليهودى / لزكى شنوده /نشر مكتبة الخانى . القاهرة.
٥٢- مجموعة الفتاوي لابن تيمية / جـ ١٧ / جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيزآل سعود.
٥٣- مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي / جـ١/ المطبعة الأميرية ببولاق / القاهرة الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م
٥٤- مدخل لدراسة الأديان / د/ صفوت حامد مبارك جـ١ / ط ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٥٥- المرأة فى الكتب المقدسة . قصة المرأة فى القرآن والانجيل والتوراة / لمحسن يوسف / اللا زقية ١١ / ١٩٨٨ م.
٥٦- المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام / لذكى على السيد أبو غضة / جـ١ / ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م / دار الوفاء للطباعة والنشر.
٥٧- المسالك الفلسفية للمتكلمين فى مسألة خلق العالم /أ. د / عبدالعزيز سيف النصر.
٥٨- المستدرك على الصحيحين/ تأليف/ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابورى / دار الكتب العلمية / بيروت /ط ١ / عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
٥٩- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى فى عام ٧ هـ / المكتبة العلمية لبنان / للفيومى دائرة المعارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى / جـ٥.
٦٠- المطالب العالية فى العلم الإلهى / الامام فخر الدين الرازى / دار الكتاب العربى بيروت.
٦١- معجم البلدان جـ ٢، جـ٤، جـ٥.
٦٢- المعجم الكبير / تأليف / سليمان أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرى / ط٢ /عام ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م . تحقيق / حمدى بن عبدالمجيد السلفى.
٦٣- المعجم الوجيز جـ١.
٦٤- المعجم الوسيط.
٦٥- مقتطفات من سفر التكوين / لحبي حكيم / القاهرة ١٩٧٢ م المطبعة المتحدة تقديم د/ القسى البيب مشرفى.
٦٦- من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية فى الألفاظ والمعانى / د / أحمد حجازى السقا / نشر دار الأنصار بالقاهرة.
٦٧- المواقف فى علم الكلام لقصد الله والدين القاضى عبدالرحمن الإيجى / نشر /عالم الكتب بيروت
٦٨- الموسوعة الإسلامية المعاصرة / مكتبة العقيدة / عالم الجن / حكم الإيمان بوجود الجن.

٦٩- النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة / د / سيد عبد التواب / دار الطباعة المحمدية.
٧٠- نظرية التطور عند مفكرى الإسلام / دراسة مقارنة / د / محفوظ علي عزام /ط٢ / ١٤٠٦ هـ - ١٩٩٦م.
٧١- نقد التوراة / د / احمد حجازي السقا / ط مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٦م.
٧٢- نهاية إسرائيل والصهونية / أ/ عبدالحميد واكد .
٧٣- اليهودية /د/ أحمد شلبي /جـ١ / ط مكتبة النهضة المصري /١٩٧٨م.